الحياة السرّيّة للأشجار

أليخاندرو سامبرا

من الأدب التشيلي

HAZEM MASSAOD
HM
E-Books

رواية

دار الساقي

ترجمة
محمد مصطفى

الحياة السريّة للأشجار
تأليف أليخاندرو سامبرا
ترجمة محمد مصطفى

تحويل وتنسيق
د/ حازم مسعود
للمزيد من كتبي على
https://t.me/hazem_massaod_kindle_books

إلى أليلي وروساريو

"ليس لدي ذكريات طفولة"

جورج بيريك

"... مثل الحياة الخاصة للأشجار أو الغرقى"

أندريس أنواندتر

١
الصوبة الزجاجية

كان خوليان يهدئ روع الفتاة الصغيرة كي تخلد إلى النوم بأن يقص عليها "الحياة السريّة للأشجار"، وهي مجموعة حكايات كان يختلقها. كان البطلان شجرة حور وشجرة باوباب.1 وكانت الشجرتان تتحدثان في هزيع الليل، عندما لا يراهما أحد، عن أمور من قبيل التمثيل الضوئي والسناجب، وكذلك عن المزايا الكثيرة التي تتمتع بها الأشجار مقارنة بالبشر، أو بالحيوانات، أو بتلك الكتل الغبية من الإسمنت، على حد وصفهما.

1 شجرة الباوباب، اسمها اللاتيني Adansonia، وهي جنس نباتي من رتبة الخبازيات. (الهوامش كافّة من المترجم).

لم تكن دانيلا ابنته، لكن كان من العسير عليه ألا يفكر فيها إلا على ذلك النحو. انضم خوليان إلى العائلة منذ ثلاث سنوات. كانت فيرونيكا والطفلة موجودتين قبل أن يأتي خوليان إليهما. تزوج بفيرونيكا، وعلى نحو ما، بدانيلا كذلك. كانت دانيلا مترددة بادئ ذي بدء لكنها بدأت تقبّل الأمر رويداً رويداً. كانت تقول لأصدقائها: "إن خوليان أقبح من أبي، لكنه يظل لطيفاً". وكان أولئك الأصدقاء يومئون بالموافقة على نحو جدي، بل رزين، كأنهم ظنوا، على نحو ما، أن مَقْدم خوليو لم يكن محض مُصادفة. بمرور الشهور، احتل زوج الأم مكانه حتى في رسومات دانيلا المدرسية. وقد احتفظ خوليان دائماً بإحدى تلك اللوحات على مقربة منه. كانت اللوحة تضم أفراد العائلة الثلاثة عند الشاطئ، وكانت الفتاة الصغيرة وفيرونيكا تصنعان كعكاً من رمال، على حين كان يرتدي سروالاً من جينز أزرق وقميصاً، وبدا مستغرقاً في القراءة والتدخين تحت شمس صفراء رائعة ومستديرة.

كان خوليان أقبح من والد دانيلا لكنه كان أصغر منه. كان أيضاً يعمل أكثر من والدها، لكنه يربح نقوداً أقل، ويُدخن أكثر، ويُعاقر الخمر على نحو أقل. كما كان يُمارس الرياضة على نحو أقل، بل لم يكن يمارس الرياضة على الإطلاق. الواقع أنه كان يعرف عن الأشجار أكثر مما يعرف عن دول العالم. كانت بشرته أقل بياضاً، كما كان أقل بساطة، وأكثر تحيراً من فرناندو. نعم، كان فرناندو هو اسم والد دانيلا. ينبغي أن يكون له اسم، حتى لو لم يكن له اسم. قد نتخيل أن فرناندو كان عدواً لخوليان أو لأي شخص آخر. لكن تلك كانت هي المشكلة، ففي هذه القصة لا يوجد أعداء. لم يكن لفيرونيكا أي أعداء، ولم يكن لخوليو أي أعداء، ولم يكن لفرناندو أي أعداء. لم يكن لدانيلا أعداء كذلك، باستثناء ذلك الفتى الصغير الذي كان زميل دراستها، وكان يحلو له دائماً أن يُمضي كل وقته راسماً على وجهه تعبيرات تسخر منها.

أحياناً ما يكون فرناندو بمكانة وصمة في حياة دانيلا، لكن من في مقدوره ألا يكون، في وقت ما، بمنزلة وصمة في حياة شخص آخر.

كان خوليان هو فرناندو دون هذه الوصمة، لكن أحياناً ما يكون فرناندو كذلك هو خوليان دون تلك الوصمة.

أما فيرونيكا فهي:

حتى الآن هناك شخص لم يصل، إنها لم تعد بعد من فصل الرسم الذي تدرس فيه. فيرونيكا هي ذلك الغائب عن الغرفة الزرقاء. والغرفة الزرقاء هي غرفة نوم دانيلا، أما الغرفة البيضاء، فهي غرفة نوم فيرونيكا وخوليان. هناك أيضاً غرفة خضراء، وهي غُرفة يُطلقون عليها، بنوع من المزح، غرفة الضيوف، لأنه كان من الصعب النوم فيها وسط تلك الفوضى من الكتب، والملفات، وفرش الرسم. وهناك تم إعداد جذع الشجرة الكبيرة، الذي استخدم لأشهر كمخزن للملابس الصيفية، كأريكة غير مريحة.

كانت نهاية اليوم تسير دائماً على الوتيرة نفسها، فكان خوليان وفيرونيكا يغادران الغرفة الزرقاء عندما تخلد دانيلا إلى النوم، وبعد ذلك، في غرفة الضيوف، كانت فيرونيكا ترسم، على حين يستغرق خوليان في القراءة. وكانت فيرونيكا تقاطعه بين حين وآخر، وهو أيضاً يقاطعها بين فينة وأخرى. ينتج عن ذلك حوارات خفيفة، وأحياناً مهمة أو مؤثرة للغاية. وبعد ذلك ينتقل الاثنان إلى الغرفة البيضاء، حيث يشاهدان التلفاز، أو يمارسان الحب، أو يتجادلان. لم يكن في ذلك شيء جاد، كما لم يكن هناك مشكلة لا يمكن حلها فوراً قبل انتهاء الفيلم، أو عندما يُسلم أحدهم بصحة وجهة نظر الآخر، أو عندما يمارسان الجنس. وكانت النهاية المعتادة لمثل تلك المناوشات هي ممارسة سريعة، أو بطيئة، للجنس، تحفل بالتأوهات والضحكات. يلي ذلك خمس ساعات أو ست من النوم. بعد ذلك يفتح اليوم التالي عيونه.

لكن هذه الليلة ليست ككل الليالي، على الأقل حتى الآن. ليس هناك يقين تام أنه سوف يُصبح هناك يوم جديد، ذلك أن فيرونيكا لم تعد بعد من درس الرسم. وعندما تعود فيرونيكا، تنتهي الرواية، ولكن ما دامت لم تعد، سوف تتواصل الرواية. إذاً، سوف تتواصل الرواية حتى تعود، أو حتى يكون خوليان على يقين بأنها لن تعود. حتى الآن تُعدّ فيرونيكا غائبة عن الغرفة الزرقاء، حيث يقصّ خوليو قصّة عن الحياة السرية للأشجار على البنت الصغيرة كي تخلد إلى النوم.

في عزلة الحديقة، كانت الأشجار تتحدث عن الحظ السيئ لشجرة بلوط، فلقد حفر اثنان من الناس اسميهما رمزاً لصداقتهما على لحاء الشجرة. قالت شجرة الحور: "ليس من حق أحد أن يضع وشماً عليك دون موافقتك". وكانت شجرة الباوباب أكثر غضباً: "لقد كانت شجرة البلوط عرضة لفعل خبيث من أفعال التخريب. إن هؤلاء الناس يستحقون العقاب، ولن يهدأ لي بال حتى يحصلوا على العقاب الذي يستحقون. لسوف أجوب الأرض والسماء والبحار بحثاً عنهم".

تضحك الفتاة الصغيرة ملء فيها دون أن يبدو عليها أي علامة من علامات النوم. وعلى نحو قلق ومتعجّل، تسأل الأسئلة المحتمة، ليس واحداً فقط، بل اثنين أو ثلاثة على الأقل كل مرة: "ما معنى كلمة تخريب، يا خوليان؟ هل يمكن أن تُحضر لي كوباً من عصير الليمون بالسكر؟ هل حفرت، أنت وأمي، اسميكما على شجرة رمزاً لصداقتكما؟"

يجيب خوليان، متحلياً بالصبر، عن الأسئلة، محاولاً احترام تسلسل الأسئلة: "التخريب هو ما يقوم به المخربون، والمخربون هم أناس يقومون بالتخريب فقط للمتعة. ونعم، سوف أحضر لك كوباً من الليمون. ولا، لم يحدث أن حفرت أنا وأمك اسمينا على لحاء شجرة".

لم تكن قصة فيرونيكا وخوليان في بدايتها قصة حب، فالواقع أنهما التقيا لأسباب تجارية بادئ ذي بدء. في ذلك الوقت، كان خوليان يعيش في مرحلة الرمق الأخير من علاقته بكارلا، وهي امرأة منطوية ومتقلبة المزاج، وكانت على وشك أن تصبح عدوة له. لم يكن لدى خوليان وكارلا أسباب

تدعو للاحتفال، ومع ذلك اتصل خوليان بفيرونيكا، وهي خبيرة فطائر، بناء على توصية صديقه، لطلب كعكة حليب خفيفة لمناسبة عيد ميلاد كارلا. عندما ذهب خوليو إلى شقة فيرونيكا، وهي الشقة نفسها التي يسكنها الآن، لاستلام الكعكة، وجد أمامه امرأة داكنة البشرة، نحيلة البدن، مع شعر طويل ينسدل على كتفيها، ومع عينين سوداوين. تلك هي المواصفات التقليدية للمرأة التشيلية. بدا أن حركاتها عصبية لكنها جادة وسعيدة في الوقت عينه. كانت امرأة جميلة لديها ابنة، ولعل لديها زوجاً كذلك. عندما كان خوليان ينتظر فيرونيكا في غرفة المعيشة ليتسلم الكعكة، لمح وجهاً أبيضَ لطفلة صغيرة. بعد ذلك دار حوار قصير بين دانيلا وأمها. كان الحوار حاداً وإن كان ودوداً، وهو من الحوارات الشائعة، ولعله يتصل بتنظيف الأسنان.

لن يكون من الدقيق القول إن فيرونيكا أسرت خوليان في تلك الأمسية. الواقع أنه كانت هناك ثلاث ثوانٍ أو أربع من التردد، بمعنى أن خوليان كان عليه أن يغادر الشقة قبل ما فعل بثلاث ثوان أو بأربع. وإن كان لم يفعل، فذلك لأنه أمضى تلك الثواني الإضافية وهو يتأمل وجه فيرونيكا الداكن والصافي.

أنهى خوليان حكايته، وكان راضياً عن القصة التي قصها، لكن دانيلا لم تنم، بل على النقيض، بدت متنبهة ومستعدة لمواصلة الحوار. سرعان ما انتهجت الفتاة الصغيرة ما يشبه الدوران في الحوار، وبدأت تقص عليه قصصاً عن مدرستها، حتى أنها، دون توقع، اعترفت له أنها تتمنى أن يكون لها شعر أزرق اللون. ابتسم خوليو معتقداً أن تلك أمنية مجازية كالحلم بالطيران أو بالسفر عبر الزمن. لكنها كانت تتحدث بجدية: "لقد صبغت فتاتان، بل حتى فتى، في فصلي شعرهم. أود لو يكون لي خصلات زرقاء، أو على الأقل، حسناً، لست أدري هل أريد خصلات زرقاء أو حمراء، ليس في وسعي أن أقرر". قالت الفتاة ذلك كأن القرار قرارها. كان ذلك موضوعاً جديداً؛ أدرك خوليان أن الفتاة كانت قد تحدثت مع أمها بالفعل حول ذلك وقت الظهيرة، والآن هي تسعى إلى الحصول على موافقة زوج أمها. هنا يحاول زوج الأم جاهداً أن يأخذ مكانه في اللعبة: "إنك لا تكادين تبلغين ثمانية أعوام، فلماذا تودين أن تفسدي شعرك عند هذا العمر الصغير؟" قال زوج الأم ذلك وهو يحاول أن يتجاوز برهنة أن صبغ الشعر يُعدّ ضرباً من الجنون. يتواصل الحوار حتى بدأت الفتاة بغتة التثاؤبَ.

يرى دانيلا نائمة، ويتخيل نفسه كما لو كان نائماً وعمره ثمانية أعوام. يا له من انعكاس: إنه يرى رجلاً ضريراً، ويتخيل نفسه ضريراً، إنه يقرأ قصيدة جميلة، ويتخيل نفسه يكتبها، أو يقرؤها بصوت مرتفع على لا أحد، ويجرفه صوت عوالم مظلمة. إن خوليان يتقبل تلك الصور ببساطة. إنه يتلقاها، ثم ينساها. لعله أجبر نفسه دائماً على متابعة الصور: لم يتخذ أي قرارات، لم يربح أو يخسر، كل ما فعله أنه ترك نفسه لتجرفه بعض الصور، وتابع تلك الصور، دون خوف أو شجاعة، حتى يصل قريباً من تلك الصور، أو حتى يبعدها عن تفكيره.

يشعل خوليان سيجارة وهو متمدد في الغرفة البيضاء. إنها السيجارة الأخيرة، أو قبل الأخيرة، أو لعلها الأولى في ليلة بهماء اضطره القدر فيها إلى اجترار الماضي الغامض بحلوه ومرّه. حتى هذه اللحظة، بدت الحياة نوعاً من الفوضى، أي أقرب إلى عالم صار دوره فيه مثل دور الوالد لدانيلا، تلك الفتاة الصغيرة الغافية، فضلاً عن دوره زوجاً لفيرونيكا، تلك المرأة التي لم تعد بعد من فصل الرسم. من هنا، تتشعب القصة، ويبدو أنه ليس ثمة طريقة لاستكمالها، رغم أن خوليان نجح في أن

يترك مسافة يمكنه بها أن يشاهد باهتمام مبارة قديمة بين "الإنتر" و"ريجينا". يبدو أن "الإنتر" سيسجل هدفاً في أي لحظة، ولا يود خوليان أن تفوته تلك اللحظة.
كانت فيرونيكا تدرس للحصول على درجة جامعية في الفن. وكانت في السنة الثانية عندما حلت دانيلا، ولقد أدى ذلك إلى تغيير خططها كافة.
كان توقع الألم هو الطريقة التي تنتهجها فيرونيكا في تجربته، ألم بسيط ينمو رويداً رويداً، وأحياناً، وأثناء بعض الساعات الدافئة، سرعان ما يختفي. قررت فيرونيكا، خلال الأسابيع الأولى للحمل، أن تحتفظ بتلك الأنباء لنفسها، فلم تخبر حتى فرناندو، أو صديقتها الحميمة، رغم أنه لم يكن لديها صديقة حميمة بالمعنى الحرفي للكلمة. لقد كان لها العديد من الصديقات اللائي يأتين لها طلباً للنصيحة، لكن فيرونيكا لم تبادل أولئك الصديقات ثقة بثقة. كان وقت الصمت آخر أنواع الترف الذي يمكن أن تمنحه فيرونيكا لنفسها، كنوع من الخصوصية المُضافة، أي كفضاء يمكن لها به أن تصيغ قراراتها بنوع من الهدوء الذي يشوبه غياب اليقين. كانت تفكر: "لا أود أن أكون طالبة/ امرأة حاملاً. لا أود أن أكون أمّاً/ طالبة". لم ترغب بالتأكيد أن تجد

نفسها خلال بضعة أشهر وقد ارتدت رداءً فضفاضاً حافلاً بالألوان، أو أن تبرر للأساتذة لماذا لم يكن في مقدورها أن تدرس استعداداً للاختبار، أو أن تترك الطفل القادم بعد عامين في رعاية أمينة المكتبة. كان بدنها يقشعّر بمجرد تخيّل قيام أمناء المكتبة على رعاية الأطفال الصغار بأمانة.
إبّان تلك المدة، زارت فيرونيكا عشرات المعارض الفنية، وألقت الأسئلة على أساتذتها دون حياء، بل أمضت عدداً من الساعات في حوارات مع طلاب المستويات الأعلى، الذين اتضح أنهم يتسمون بلطف كبير؛ كانوا طلاباً لطيفين وإن ادّعوا عكس ذلك، كان هؤلاء الطلاب ينجحون على نحو أسرع من إخوانهم الذين يدرسون الهندسة المدنية، أو أخواتهن اللائي يدرسن علم النفس التربوي.
سرعان ما أدركت فيرونيكا أن ذلك ليس هو العالم الذي ترغب في أن تكون جزءاً منه، بل ليس ذلك العالم حتى قريباً مما ترغب، أو مما يمكنها أن تكون جزءاً منه. منذ ذلك الحين فصاعداً، كانت عندما تسيطر عليها فكرة سوداء عن تخليها عن عطلتها، كانت تجترّ أمثله معاكسة ممّا خزّنته في ذاكرتها، وبدلاً من التفكير في رأي أساتذتها الإيجابي حول الخيال الفني، كانت تتذكر تلك الفصول الدراسية التي درسها لها اثنان أو ثلاثة من أولئك السحرة الذين كانوا دائماً يحومون حول أقسام الفنون. وبدلاً من أن تفكر في الأعمال الأصلية والحقيقية التي يُنجزها بعض زملائها في الفصل، كانت تُفضل أن تعود إلى المعارض الساذجة التي كان يعرض فيها بعض زملاء الفصل اكتشافاتهم.
كان شباب الفنانين يقلّدون اللغة الفنية الكلاسيكية، كما أنهم كانوا دائماً يعبّئون تلك الطلبات التي يبدو أنها لا تنتهي للحصول على المنح الحكومية. لكن النقود كانت سرعان ما تنفد، وكان يتعين على هؤلاء الفنانين الشُبان أن يعطوا دروساً للهواة، مثل ذلك الفصل الدراسي الذي تحضره فيرونيكا في مبنى البلدية المجاور، وتحديداً في تلك الصالة غير المريحة المخصصة للمعارض الفنية. كانت فيرونيكا في الصباح تخبز الكعك، وتجيب على الهاتف، وفي المساء تسلّم طلبات الزبائن وتعدّ للفصول الدراسية، وأحياناً ما كانت تشعر بالضجر، وإن كانت أحياناً أخرى تستمتع بما تفعل. لقد اتّسمت بالالتزام والانضباط، كما كانت، في نهاية المطاف، راضية عن وضعها

كهاوية للفن. يفكر خوليو: "لا ريب في أنها في طريقها للعودة"، على حين يشاهد التلفاز. في الدقيقة الثامنة والثمانين، وعلى عكس كل التوقعات، يُسجل فريق "ريجينا" هدفاً: واحد - صفر، وهكذا انتهت المباراة: "الإنتر": صفر، "ريجينا": ١.

أتمّ خوليان عامه الثلاثين الأسبوع الماضي. كانت شراكة خوليو مع فيرونيكا غريبة نوعاً ما، وقد شوهتها إلى حد ما تلك القتامة التي يتحلى بها ضيف الشرف. وعلى المنوال نفسه الذي تخصم به بعض النساء سنوات من أعمارهن، كان خوليو أحياناً يضيف بضع سنوات على عمره، ويتظاهر أنه ينظر إلى الماضي بنوع من المرارة. بدأ خوليو يفكر في المدة الأخيرة أنه كان يتعين عليه أن يصبح طبيب أسنان، أو عالم جيولوجيا، أو عالماً في الأرصاد الجوية. كان عمل خوليو الحالي يبدو غريباً، فقد كان أستاذاً. لكن ما كان يفكر فيه خوليو حالياً هو ذلك القشر الذي يملأ رأسه. إنه يتخيل نفسه وهو يجيب عن ذلك السؤال: "ما عملك؟"

"لدي قشر في رأسي".

لا ريب أنه يبالغ في ذلك. والواقع أنه لا يمكن لأي شخص أن يعيش دون قدر ضئيل من المبالغة. لو كان هناك في حقيقة الأمر مراحل في حياة خوليو، لأمكن التعبير عنها وفقاً لمقياس المبالغة. حتى سن العاشرة لم يكن يبالغ كثيراً، أو لم يكن يبالغ على الإطلاق. ومن سنّ العاشرة حتى السادسة عشرة، تزايد ميله إلى المبالغة إلى حد كبير. ومنذ الثامنة عشرة فصاعداً أضحى خبيراً في أنواع المبالغة شتى. لكن ميله إلى المبالغة تراجع كثيراً منذ زواجه بفيرونيكا، وإن كان ذلك يغلبه أحياناً.

يعمل خوليو أستاذاً للأدب في أربع جامعات في سانتياغو. لطالما أحب أن يركز على تخصص واحد، لكن قانون العرض والطلب أجبره على التحلي بالمرونة. إنه يتولى تدريس فصول دراسية في الأدب الأميركي والأدب الإسباني–الأميركي، بل حتى في الشعر الإيطالي، رغم أنه لا يتحدث الإيطالية. لقد قرأ عن كثب أعمال أونغاريتي، ومونتالي، وبافيزي، وبازوليني،2 كما قرأ مؤخراً أعمال الشعراء المحدثين أمثال باتريزيا كافالي وفاليريو ماغريلي،3 لكنه ليس على أي وجه من الوجوه من المتخصصين في الشعر الإيطالي. على أي حال، إن تدريس فصول في الشعر الإيطالي دون معرفة بالإيطالية لا يعد شيئاً غير اعتيادي في تشيلي حيث تعج سانتياغو بأساتذة للإنكليزية لا يعرفون الإنكليزية، كما أن هناك أطباء أسنان لا يكادون يعرفون كيف يقتلعون ضرساً، وهناك مدربون يعانون من السمنة، أو معلمو يوغا لا يمكنهم أن يتولوا التدريس دون أن يتعاطوا مضادات الاكتئاب. والواقع أن خوليان يميل إلى أن يكون واضحاً بشأن مغامراته البيداغوجية، فهو دائماً ما يُنقذ الموقف باقتباس بعض أقوال فالتر بنيامين أو بورخيس أو نيكانور بارا.4

2 غويسيبي أونغاريتي (١٨٨٨–١٩٧٠) شاعر وناقد وأكاديمي إيطالي، ويعد من أبرز الكتاب الإيطاليين في القرن العشرين. أوجينيو مونتالي (١٨٩٦–١٩٨١) شاعر ومترجم إيطالي حصل على "جائزة نوبل في الآداب" عام ١٩٧٥. شيزري بافيزي (١٩٠٨–١٩٥٠) شاعر وروائي إيطالي نشر غالبية أعماله بعد الحرب العالمية الثانية. بيير باولو بازوليني (١٩٢٢–١٩٧٥) شاعر ومخرج سينمائي إيطالي.

3 باتريزيا كافالي (١٩٤٧-) شاعرة إيطالية. فاليريو ماغريلي (١٩٥٧-) شاعر إيطالي ويعد خبيراً في الأدب الفرنسي.

4 فالتر بنيامين (١٨٩٢–١٩٤٠) فيلسوف وناقد ثقافي ألماني. خورخي لويس بورخيس (١٨٩٩–١٩٨٦) من أشهر كتّاب أميركا اللاتينية. نيكانور بارا (١٩١٤–٢٠١٨) شاعر وعالم رياضيات وفيزيائي تشيلي.

إنه يعمل أستاذاً، كما يكتب أيام الأحد. وفي بعض الأسابيع، يعمل بهمة ونشاط قدر الإمكان، إلى حد الهوس، كأن أمامه موعداً محدداً سوف يتجاوزه إن لم يعمل. يُطلق خوليو على مثل ذلك الوقت لقب "الموسم المزدحم". وعادة ما يؤجل طموحاته الأدبية، في الموسم البطيء، إلى يوم الأحد، تماماً كما يُكرس بعض الناس أيام الأحد للبستنة أو للنجارة أو للكحول.
كان خوليو قد انتهى للتو من كتاب صغير للغاية، لكن ذلك استغرق منه سنوات. جمّع في البداية المادة: تراكم لديه ثلاثمئة صفحة، لكنه بدأ تغيير مساره رويداً رويداً، فألقى الكثير مما جمّعه جانباً، وبدلاً من أن يضيف قصصاً إلى ما كتب، أراد أن يُلغي أو يمحي ما جمّعه. كانت النتيجة النهائية سبعاً وأربعين صفحة أصرّ على أن يُطلق عليها رواية. ورغم أنه في تلك الأمسية كان قد قرر أن يضع الكتاب جانباً لبضعة أسابيع، فإنه أطفأ التلفاز، وبدأ، من جديد، قراءة المخطوطة.
إنه يقرأ الآن، ويُواصل القراءة. ويحاول أن يدعي أنه لا يعرف القصة، وينجح أحياناً في تحقيق ذلك الوهم، حيث يدع نفسه، على نحو خجول، يتناسى الموضوع، مُقنعاً نفسه أن النص الذي يراه بأم عينيه قد كتبه شخص آخر. وما إن يجد فاصلة في غير موضعها، أو صوت نشاز، حتى يعود إلى الواقع. آنئذ يضحي هو ذاته الكاتب من جديد. عندئذ يصبح خوليو نوعاً من الشرطي الذاتي الذي يُعاقب أخطاءه الذاتية، أو يكتشف مواضع الزيادة أو النقصان في ما يكتب. إنه يقرأ واقفاً على قدميه وهو يمشي حول الغرفة. إنه يجب أن يجلس أو يستلقي لكنه يظل واقفاً، وظهره متصلب، ويتجنب المصباح، كما لو كان يخشى أن يكشف الضوء المبهر عن المزيد من الأخطاء الجديدة في المخطوطة.
كانت أولى الصور صورةَ شاب يعتني عناية فائقة ببونساي5. لو سأله أحد عن ملخص للكتاب، لربما أجاب أنه يدور حول فتى صغير السن يعتني على نحو فائق ببونساي. لربما لن يذكر أنه فتى صغير، ولربما اكتفى بالقول إن البطل ليس صبياً بالضبط، أو ليس فتى بالغاً، أو عجوزاً. ذات ليلة، منذ سنوات طويلة مضت، أخبر صديقيه سيرجيو وبرناديتا بتلك الصورة: رجل يحبس نفسه مع بونساي ويعتني بها، مستلهماً في ذلك أحد الأعمال الفنية الحقيقية. بعد ذلك ببضعة أيام أحضر إليه الصديقان، ولعل ذلك نوع من التندر، شجرة دردار صغيرة وأخبراه أنهما فعَلا ذلك "حتى يُمكنه أن يؤلف الكتاب".
5 شُجيرة تنمو في وعاء.
في تلك الأيام، كان خوليان يعيش بمفرده، أو على نحو ما منفرداً، أي أنه كان يعيش مع كارلا، تلك المرأة الغريبة التي كانت على وشك أن تصبح عدوة له. في تلك الأيام، كانت كارلا لا تكاد تكون في المنزل، وفوق كل شيء تمكنت ألا تكون في المنزل أبداً عندما كان يعود من العمل. كان خوليان بعد أن يُعدّ الشاي مع الأماريتو – ما يبدو بغيضاً بالنسبة إليه الآن، وإن لم يكن كذلك في الأيام الخوالي حين كان يهوى الشاي مع الأماريتو – يُشغل نفسه بشجرته. لم يكتفِ خوليان بريّ الشجرة أو تشذيبها، بل كان يُحدق فيها ملياً لساعات طوال، ولعله كان ينتظر أن يراها تتحرك،

بالطريقة نفسها التي يستلقي بها بعض الأطفال بلا حراك في السرير ليلاً لردح طويل من الوقت، آملين أن يروا أنفسهم يكبرون.
لم يكن يكتب إلا بعد أن يُحدق في البونساي لساعة على الأقل. كانت هناك ليالي حُبلى بالإلهام، إذ كان يكتب صفحات وصفحات في نوبة ثقة مفاجئة، كما كانت هناك ليالٍ لم يكد ينتج فيها شيئاً، فلا يكاد يتجاوز الفقرة الأولى. كان آنذاك يستلقي أمام شاشة التلفاز، شارداً قلقاً، كما لو كان يتمنى أن يكتب الكتاب نفسه. كان يعيش في الطابق الثاني في مبنى يطل على بلازا نونوا. كانت هناك حانة في الطابق السفلي، وكان ينبعث من تلك الحانة خليط من الأصوات ومزيج من الموسيقا الإلكترونية. كان يحلو له العمل مع تلك الموسيقا في الخلفية، رغم أن المحادثات الفجة أو المازحة التي كانت تتناهى إلى أذنيه من أسفل كانت تشتت انتباهه. إنه يتذكر على وجه التحديد ذلك الصوت المرير لامرأة عجوز كان يحلو لها أن تخبر كل من تقابله عن موت أبيها، وعن ذلك الصوت المذعور لمراهق، في فجر قارس البرد، وهو يقسم أنه لن يمارس الجنس بعد ذلك دون واقٍ ذكري. وكان خوليو يظن، من وقت إلى آخر، أنه يتعين عليه أن يكتب ما يستمع له، إذ يكون لديه سجل لتلك الحوارات. لقد تخيل محيطاً من الكلمات يسافر مرتحلاً من أسفل حتى يصل إلى نافذته، ومن نافذته إلى أذنيه، ثم إلى يديه فكتابه. ولا ريب أنه كان سيكون في مثل تلك الصفحات حياة أعمق من باقي الصفحات في الكتاب الذي يخطه. لكنه بدلاً من أن يكون سعيداً بالقصص التي يضعها القدر في طريقه، ظلّ مركزاً انتباهه على بونساي التي لديه.
"اخرج من منزلي يا ابن العاهرة".
كانت تلك هي العبارة التي وجدها خوليان مكتوبة بخط سميك، وبطلاء أحمر، على جدار غرفة المعيشة عندما عاد إلى بيته من العمل ذات مساء. اعتقد خوليان، على نحو ميلودرامي، أن الرسالة قد كُتبت بالدم. ورغم أنه عثر سريعاً على غالون من الطلاء، وكان بعضه متناثراً على السجادة، فإن ذلك الانطباع الزائف ظل محفوراً في ذاكرته. حتى يومنا، ما زال يتصور أن كارلا قد مزقت أوصالها، وبللت إصبع سبابتها في تيار متدفق من دم. كما أنه ما زال يظن، حتى يومنا، أن كلمة ابن العاهرة التي كتبتها صديقته على جدار غرفة المعيشة لم تكن عادلة، لأنه أثناء تاريخه كله معها كان أي شيء عدا أن يكون ابن عاهرة. لقد كان أبلهَ، أو أخرقَ، أو مهملاً، أو أنانياً، لكنه لم يكن ابن عاهرة. على أي حال، كان هناك وقت تقاسم فيه الاثنان الشقة، وهي التي بدأت بغتة الابتعادَ عنه. وقد درّب خوليان نفسه سريعاً، إن لم يكن فوراً، على غياب كارلا. لعل تلك كانت غلطته الوحيدة، ولعلها ضرورية كما يرى الآن، إذ لم يعد لكارلا أي وجود، فقد

خرجت إلى الأبد من حياته.
غادر خوليان الشقة تلك الليلة حاملاً حقيبته في يد، وشجرة البونساي في الأخرى. أمضى الأسابيع التالية يعاقر الخمر، ووجد له ملاذاً في بيوت أصدقائه، كما أراد أن يقصّ حكايته على كل من يود الاستماع لكنه لم يكن جيداً في حكايتها. حاول أن يخفي نفسه بين يقينيات ماضيه القريب، لكن تلك اليقينيات كانت محدودة، وقد عرف خوليان ذلك جيداً. قال له صديقه فيثنتي في نهاية ليلة من ليالي التقاء الأصدقاء: "حتى خمسُ قنينات من البسكو6 والكولا لا تكفي لتحلّ عقدة من لسانك". كان فيثنتي مُحقاً في ذلك. أما البونساي، فهي ممن يكرهون تغيير الأماكن والعناوين. ورغم إحساس

خوليان بالذنب، فإن الشجرة كانت بالفعل في طريقها إلى الذبول عند وصولها إلى محطتها النهائية.
6 مشروب كحولي يُنتج في تشيلي والبيرو.
قد يتطلب الأمر عدداً من الفقرات، أو ربما كتاباً كاملاً، لنفسر لماذا لم يُمضِ خوليان ذلك الوقت في بيت والديه. يكفي في هذا المقام أنه إبّان تلك السنوات ادعى أنه ليست لديه أسرة. هناك في حقيقة الأمر من يدّعون ذلك. وهم يُفضلون أن يمضوا وقتهم في حضور اجتماعات جادة، حيث تفسح التعابير الجاهزة مكانها للقاءات مصالحة عاجلة. أما خوليان، فكان على نقيض ذلك: ادعى أنه ليست لديه أسرة. لقد كان لديه بعض الأصدقاء المخلصين، وبعض الأصدقاء ممن هم دون ذلك، لكن لم يكن لديه أسرة.
ذات يوم أحد، عندما كان يتصفح إعلانات الصحيفة، عثر خوليو على عنوان فيرونيكا. كانت الشقة في الطابق الثاني في مبنى في حي لارينا. كانت الشقة بعيدة عن وسط المدينة، وكانت كبيرة للغاية بالنسبة إلى رجل وحيد، كما كانت باهظة الثمن بالنسبة إلى أستاذ جامعي مبتدئ. كان خوليان يبحث عن ملاذ صغير ورخيص يمكن فيه أن يبدأ حياة جديدة لا تختلف كثيراً عن حياته القديمة، ولذا لم يحفل كثيراً بالأمر ذلك الأحد، ورفض الفكرة. لكنه في الأحد التالي رأى الإعلان نفسه من جديد، وهذه المرة لم يتردد كثيراً، فخرج دون ضجة لزيارة الشقة، وقد ظن أنه قد يكون من الجيد أن يرى بيت فيرونيكا مرة أخرى. عندما وصل أدرك فوراً ذلك التجهّم الغريب البادي على وجه الحارس، كما أدرك ذلك السياج الأصفر المعوج، الذي اعتقد آنذاك أنه تم قصّه على نحو فني وغريب. لم يتذكر خوليو شجرة الصبار العملاقة في الحديقة، ولا الأعمدة السوداء السميكة التي تحمي النوافذ، لكنه أحب المكان، ولاسيما الشرفات، كما أحب أولئك الأطفال الذين يمضون ساعات وهم يرتادون دراجاتهم قبل تناول طعام الغداء.
بخلاف فيرونيكا ودانيلا، كان هناك ثلاثُ غرف، ليست كبيرة للغاية، فضلاً عن غرفة المعيشة التي سبق له أن رآها. كانت تلك مساحة كبيرة بالنسبة إلى خوليان وكتبه القليلة وشجرة بونساي الممتدة. لكنه كان قد اتخذ قراره بالفعل: لقد تفاوض مع المالك وأقنعه بتخفيض السعر قليلاً، كما وقع عقداً غير واضح البنود، ما اضطره إلى تدريس المزيد من الفصول، فضلاً عن تنظيم جلسات عمل شعرية مرتجلة للمراهقين من الجيران.
منذ ذلك الوقت عاش خوليان في ذلك الفضاء شبه الخاوي. كان يغادر في الثامنة صباحاً ويعود مع هبوط الليل. وقد حبس نفسه ليكتب ويرقب عذاب موت البونساي.
ذات مساء جاء سيرجيو وبرناديتا لزيارته. كانت غرفة ذلك العازب تفتقد إلى الملاعق والأواني والوسائد وطفايات السجائر والمصابيح، بل حتى الستائر، ولذا شعر خوليان بقدر من السخافة عندما شكرهما على الهدايا التي أحضراها: كتاب لجانيت ونترسون7، فضلاً عن عدد كبير من الشموع المعطرة، والأشكال الزجاجية المخروطية، وقد وزعتها برناديتا سريعاً على كل ركن من أركان الشقة.
7 كاتبة بريطانية.
بعد أن اعتذر خوليان لضيفيه عن الحالة التي تدعو إلى الرثاء، التي وصلت إليها البونساي، أخبرهما بالقصة التي ود بالفعل أن يخبرهما بها. قال إنه أتى إلى هذا المكان من قبل، وإنه التقى المقيمين السابقين (استخدم كلمة "مقيمين"، وهي كلمة فيها بعض العجرفة)، وكانوا امرأة شابة

وطفلتها. كان من اليسير استكشاف تلك القوة الغامضة التي تكمن وراء قصته؛ إنها نوع من الاندهاش الذي بدا موحياً لضيفيه.
قالت برناديتا: "لذا استأجرت هذا المكان بدافع الحب والمصادفة".
أجاب خوليان وهو يشعر بالخجل: "لا". وبنوع لا داعي له من العصبية واصل: "لقد استأجرتها لأنها بدت ملائمة".
قال سيرجيو: "لتعترف، يا خوليان، أنك استأجرتها لأنك قرأت كثيراً لبول أوستر8".
8 كاتب ومخرج سينمائي أميركي.
لم يتمكن سيرجيو وبرناديتا من تمالك نفسيهما من الضحك. ضحك خوليان كذلك لكنه لم يكن يود أن يضحك، أو لعله ودّ لو يرحل صديقاه ليعودا عندما يكونا قد انتهيا من نوبات ضحكهما. ونتيجة لتلك النكتة غير المريحة، لم يقرأ خوليان بعد ذلك أي عمل من أعمال أوستر، بل إنه، في أكثر من مناسبة، نصح الآخرين ألا يقرؤوا لأوستر، زاعماً أن بعض صفحات كتابه اختراع العزلة ما هي إلا أفكار بورخيس نفسها.
لكن تلك قصة أخرى، قصة ثانوية، لا تهمنا الآن، رغم أنه قد يجدر بنا أحياناً أن نقتفي أثر

مثل تلك الدلائل. إن خوليان ذاته كان يستمتع باقتفاء أثر كتب غير ناضجة تحفل بالدلائل الزائفة. لا ريب أنه قد يكون مفيداً أحياناً أن يسقط المرء على الأرض ضاحكاً، أو أن يشكل نوعاً من سخرية الازدراء. من الأفضل أحياناً إغلاق الكتاب، إغلاق كل الكتب، ومواجهة كل شيء في الوقت نفسه، لا الحياة بما رحبت، بل درع الحاضر الهش. لكن الآن، تمضي القصة بما أن فيرونيكا لم تصل. وكما ذكرنا في البداية، وكما نكرر ذلك ألف مرة ومرة، تنتهي هذه القصة عندما تعود فيروينكا، أو حتى يقتنع خوليان بأنها لن تعود.
بعد تلك الزيارة بدأ خوليان تخيل عدد لا يحصى من مشاهد الحياة اليومية التي جمعت فيرونيكا مع الطفلة الصغيرة أثناء حياتهما في الغرفة نفسها. وعندما عاد إلى البيت من العمل، فتح الباب بحذر، متظاهراً أنه يدخل إلى مكان مخيف وغير مألوف. اختار خوليان أن ينام في غرفة الضيوف، وهي أصغر الغرف، التي أطلق عليها حينئذ الغرفة الخضراء، وكانت هي التي اعتاد أن يحبس نفسه فيها. كانت الغرفة الزرقاء على حالها، أي خاوية، ولا يزيّنها سوى فرشة رسم صلبة، فضلاً عن بعض الصحف المنسية على الأرضية. أما الغرفة البيضاء، فضمت ثلاثين أو أربعين كتاباً تراكمت في صندوق، فضلاً عن لوحة سميكة وُضعت بتوازن على حوامل، لتكون بمنزلة مكتب.
كان خوليان يكتب حتى هزيع الليل، رغم أنه كان يفعل ذلك بلا نظام، وبلا منهج، فكان يدع الذباب أو صوت الثلاجة يشتت انتباهه. لكن أكثر ما يشتت انتباهه تلك الذكريات الزائفة المختلقة. لقد تخيل فيرونيكا تظهر في الشرفة، أو تقرأ مجلة، أو تجرب تصفيفة شعر جديدة أمام المرآة. كان يكتب مفكراً في فيرونيكا، أو في شبح فيرونيكا وهو يرقبه ويكتب.
في يوم ما، قرر أن يهاتفها معتذراً بأنه يود أن يطلب كعكة أخرى. فتش في أوراقه، لكن رقم هاتف فيرونيكا أصبح الآن رقمه. كما أن صديقه الذي أوصاه بكعك فيرونيكا يعيش الآن في الولايات المتحدة. تحدث أخيراً مع مالك البيت الذي وافق متردداً أن يوصله بشخص يعرف شخصاً ربما يعرف أين يعثر على فيرونيكا. بعد أسبوع من البحث المحموم حصل خوليان على الرقم، لكنه انتظر أسبوعاً آخر قبل أن يتجرأ على الاتصال.

أخبرها هاتفياً بما حدث، لكن ذلك لم يبدُ أنه يهمها كثيراً. قال لها مع حُبور مصطنع: "أنت تعرفين العنوان، والآن جاء دورك لتأتي وتتركي الكعكة". لكن فيرونيكا التي كانت معتادة إلى حد كبير مثل تلك الطلبات، قالت له بنوع من البيروقراطية: "بعد الغد، وعند السابعة مساء، سوف أكون هناك لأسلمك الكعكة". كانت خطة خوليان خيالية للغاية: لقد خال أن فيرونيكا تشعر بالخجل من الحديث لوقت طويل مع شخص غريب، لكنها ترغب في زيارته، وتظل معه لساعات طوال حتى يتولد بينهما نوع من الحميمية. كما تخيل أنه يمارس الحب معها في غرفة المعيشة، وبعد ذلك في المطبخ، وأخيراً عند الباب قبل أن يقولا وداعاً.

أما فيرونيكا، فعلى النقيض، كانت ترقب حوائط غرفتها القديمة بحذر، محاولة أن تكبح نوعاً من الاحتقار اللاإرادي، ونوعاً من غياب الارتياح الواضح. إنها حتى لم تلحظ البونساي الجاف الذي تركه خوليان على الأرض على نحو متعمد، على أمل أن يثير وجوده انتباهها بما يسمح له أن يفتح نوعاً من الحوار الخجول عن النباتات، أو يفسح المجال لقصة عن النباتات الميتة، أو النباتات المتسلقة التي يلتهمها كلب سمين أسود. لكن فيرونيكا اكتفت بابتسامة، وحصلت منه على النقود، واستدارت لتمضي. وعند ذلك حاول خوليان أن يقص قصته الأخيرة، فقال بنوع من التهور: "إن الكعكة التي طلبتها من قبل كانت لصديقتي، أو بالأحرى لصديقتي السابقة. أما هذه، فلأمي. كما أن تلك الشجرة التي ترينها هناك تحتضر".

قالت فيرونيكا مجيبة عن ذلك: "أواه". وابتسمت من جديد ثم غادرت.

لكن كان هناك طلب ثانٍ وثالث ورابع، بل حتى خامس. زاد وزن خوليان بضعة كيلوغرامات، ذلك أنه كان يتناول الكعك بالحليب في الإفطار والغذاء والعشاء، ظناً منه أنه بذلك يتغلب رويداً رويداً على مقاومة فيرونيكا له. وحتى يحافظ خوليان على وهم أن ما يجري أمر طبيعي، كان يدعي كل مرة أن كل كعكة جديدة سوف يقدّمها إلى أحد أفراد الأسرة، أو لمناسبة اجتماعية، على حين كانت فيرونيكا تود لو غيّر طلبه، إذ أضحت تشعر بالضجر لأنها كانت تصنع الكعكة نفسها. لكن خوليان لم يرغب في تناول كعك الغابة السوداء، أو كعك الميلفاي، أو كعك الأناناس، أو الكريب بالبرتقال. لقد أراد دائماً الكعكة نفسها بالحليب مع الكثير من الكريم.

مع الكعكة الخامسة، صارت فيرونيكا أكثر فضولاً عن ذي قبل. ظن خوليان أنها لربما تقبل، في نهاية المطاف، كأساً من نبيذ، أو كوباً من نبيذ في الواقع، ولاسيما أنه لم يكن لديه كؤوس نبيذ، أو حتى كؤوس شراب عادية. لم يكن لديه سوى تلك الأكواب الكبيرة. لم يكن خوليان على خطأ في تصوره، فلقد أضحى صديقاً لفيرونيكا، ولم يعد ذلك الرجل القبيح رغم أنها بالطبع لم تبدأ تخيل نفسها تمارس الجنس معه، وهي فوقه أو تحته، ناهيك عن تخيل نفسها تمارس الجنس عند الباب كما حلم بذلك.

لكن خوليان عند ذلك لم يكن يحلم بعلاقة تستمر ليلة واحدة فقط. لقد حلم أن فيرونيكا تمضي الليل معه، وأنه ينام في بيتها، ويعيش معها، ويمارس الحب معها ببطء، في صمت مطبق، حتى لا يوقظا الطفلة الصغيرة، أو بعنف، وفي نشوة كاملة عندما تذهب الطفلة الصغيرة لتمضية بعض الوقت لدى جدها أو جدتها، أو لدى والدها الذي تخيل أنه طويل وأشقر وممتلئ البدن، قبل أن يكتشف بعد وقت طويل أنه طويل وأشقر ونحيل.

في المساء الذي طلب فيه خوليان الكعكة الخامسة، قبلت فيرونيكا كوب النبيذ الذي عرضه خوليان، لكن لم يكن هناك أي جنس على أي حال.

تبدو حياة خوليو مع كارلا، تحت الضوء الاصطناعي للحاضر، كالسحابة أو كالبحيرة. إنه يفكر فيها كمكان انتظار، أو كمشهد ريفي يتأمله من خلال نافذة قطار يمضي بطيئاً. في تلك

الليلة التي رأى فيها الرسالة على الحائط، تخيل خوليو نفسه مرات عدة في مشهد طالما اعتقد أنه محتّم، ومع ذلك بدا المشهد كأنه لم يقع على الإطلاق: لقد تخيل نفسه مع كارلا يقاسمها قدحاً إجبارياً من القهوة. عندئذ كانت كارلا تتوقف عن الكلام على نحو درامي، ثم تتفوه بعبارات غير مترابطة، وهي عبارات جربتها مراراً وتكراراً، وإن كانت تتسم بالصدق والأمانة. بعد ذلك، وبعد أن يعود خوليان إلى حياته الجديدة، يصل إلى الإجابات التي كان يتعيّن عليه أن يرد بها على كارلا، بدلاً من أن يلوح بيديه بطريقة مهينة عندما كانا معاً.
لكن الحقيقة أنه لم يكن من الهيّن تهدئة سورة غضب كارلا أو لا مبالاتها. لقد كان أكثر من مرة على حافة دفعها إلى المشهد الأخير، لكن قوته خارت. كانت فكرة الدخول في جدل حامي الوطيس هي التي تدفعه إلى أقصى درجات رباطة الجأش. لم يرغب خوليان في استعادة حبه، لأنه كان قد توقف عن حبها منذ وقت طويل. لقد توقف عن حبها بعد ثانية واحدة من بداية حبه لها. يبدو الأمر غريباً لكن ذلك ما كان يشعر به، فبدلاً من أن يحب كارلا أحب إمكانية الحب، ثم قُرب الوقوع في الحب. لقد أحب أن يكون هناك شخص ما يتحرك تحت تلك المفارش البيضاء القذرة.
كانت كارلا تجيب من يسأل عن عائلتها: "أنا بمفردي، ليس لديّ أبوان، ليس لدي عائلة، أنا بمفردي". كانت تلك الحقيقة، فلقد توفّي والد كارلا مؤخراً، كما أن أمها ماتت قبله بسنوات. حدث ذلك عندما هجرت زوجها وابنتها، ومضت إلى كالي لتطارد حلماً غامضاً وغريباً. كانت الميزة التي تتمتع بها كارلا تتمثل في أنه ليست لديها عائلة. أما عيب خوليان، فلا يتمثل في أن لديه أباً وأماً وأختاً فحسب، بل إن لديه عدداً محيراً من الأجداد والعمات والخالات والأعمام، بل حتى أبناء الأعمام. لقد زودته كارلا بمكان مثالي ليعزل نفسه عن الماضي. الواقع أنه لم يكن هناك شيء في ماضي خوليان يود أن يهرب منه، لكن ذلك كان بالتحديد ما يهرب منه: يهرب من المستوى المتواضع، ومن الساعات التي لا حصر لها التي كان يقضيها في صحبة لا أحد.
كانت كارلا تدرس الفلسفة في جامعة تشيلي، لكنها لم تكن تخطط للحصول على درجتها العلمية، أو للعمل، أو أي شيء من هذا القبيل. لقد كانت رغبتها الوحيدة تتمثل في أن تظل في المنزل لتستمع للموسيقا وتدخن الماريجوانا. لم تكن تأكل سوى الشوكولاته، أو الباستا مع جبن البارميزان، رغم أنه عندما دخل خوليان إلى حياتها، وكان طباخاً ماهراً، توسعت قائمة الطعام لتشمل الباستا مع البيرتو، والرافيولي، والدجاج المقلي، بل حتى الفول مع التفاح المقلي. كان خوليان يتولى التدريس، وإلى جانب الأموال التي ورثتها كارلا، تمكن الاثنان من العيش في بحبوحة إلى حد ما؛ لقد اشترى خوليان كتباً، كما أن كارلا اشترت اسطوانات مدمجة، وماريجوانا، فضلاً عن الأدوية المسكنة التي كانت بالنسبة إليها نوعاً من الالتزام أكثر منها انحرافاً أخلاقياً.
ولما كان خوليان يركز اهتمامه على فصوله الدراسية وكتبه، أغفل بعض اللحظات الجوهرية من حياة كارلا: لم يلحظ ذلك الشغف الذي تنتظر به كل ليلة تلك المكالمات الهاتفية الطويلة، وأحياناً القصيرة. الواقع أنه لم يسأل: "من اتصل؟" أو "إلى أين تذهبين؟" وكان عندما يسأل، لا يصر على الحصول على إجابة، بل يتقبل مسبقاً مراوغة كارلا التي أحياناً ما توصد في وجهه الأبواب.

لم يكتشف خوليان أبداً لماذا كانت تغيب كارلا بغتة. في البداية، كانت تقول وهي تتثاءب بعض التفسيرات البدائية: "تأخرت لأنني قابلت امرأة مريضة كانت بحاجة إلى مساعدتي". ذلك ما قالته له ذات صباح، لكنه لم يكد يرد عليها، لم يرَ، أو لم يرد أن يرى، ذلك التوهج الذي كان يبزغ أحياناً في عيني كارلا العسليتين.
شرعت كارلا، في أعقاب ذلك، في البقاء في منزل تلك المرأة، بحجة أنها ترعاها. لم تكن هناك حاجة إلى تفسيرات أخرى. كان خوليان يعثر، كل يومين أو ثلاثة، على صناديق نصف مفتوحة، وصحون غير مغسولة، وعلامات أخرى تدل على حضور كارلا. مرت أسابيع قبل أن يريا بعضهما بعضاً مصادفة عند أسفل السلم. سلم كل منهما على الآخر ببرود، ودون قُبل، قبل أن تقول كارلا: "لقد تحسنت صديقتي بفضل رعايتي لها". سألها خوليان بلا اهتمام: "متى سوف تعودين؟" لكنها لم ترد. كان عليه أن يضغط عليها، أو ربما يجبرها، على الاعتراف بما بدأ يشك فيه بلا اهتمام: لعل تلك المرأة هي أم كارلا.
تأمّل خوليان غياب كارلا من بعيد، بلا اكتراث، بل حتى بارتياح. في بعض الأمسيات، كان يتخيلها تمشي في شارع إيرارازابال وهي تستمع لبعض الأغنيات وتفكر في أمها، أو المرأة التي أعتقد خوليان أنها أمها. لعلها كانت تدعي أن لها أماً، أو لعلها أقنعت تلك المرأة أنها أمها، أو لعلها سألتها، أو حتى ترجّتها أن تكون أمها. لقد سئم خوليان من محاولة فك شِفرة تلك الحبكة التي لم تكن تهمه كثيراً على أي حال.
لم يمضِ خوليان كثيراً في تكهناته حول كارلا، فقد كانت هناك أمور أخرى تشغل تفكيره. أحياناً ما كان يعمل فجراً للوصول إلى نهاية محتملة لروايته من بين نهايات عدة متضاربة. لم تكن روايته في حقيقة الأمر رواية، بل كتاباً يحتوي على شذرات، أو تعليقات. لم يرغب في حقيقة الأمر في أن يكتب رواية، بل أراد ببساطة أن يخلق مكاناً متناسقاً تتراكم فيه الذكريات. لقد أراد أن يضع ذكرياته في حقيبة ويحملها حتى يقصم عبء الذكريات ظهره.
في نهاية ليلة باردة من الكتابة، يقرر خوليان أن يتوقف عن ملء الصفحات بقصص مبعثرة، ولا يمكن فك شفرتها، ليتجه بدلاً من ذلك إلى كتابه دفتر يوميات بونساي، وهو سجل دقيق بمراحل نمو الشجرة. بدا الأمر بسيطاً، فكان عندما يصل إلى المنزل كل ظهيرة يسجل كل تغيير طرأ على الشجرة مهما يكن ذلك التغيير صغيراً؛ كان يسجل معلومات عن مظهر الأوراق، أو

انحناء الجذع، أو وجود مجموعة من الحصى الصغير التي لم تكن هناك في اليوم السابق. وعلى نحو آلي، بدأت الحياة تدب في تلك الحقائق الموضوعية التي يجمّعها.
ذهب إلى السرير سعيداً وراضياً عن الحياة التي تنتظره. لكنه لم يكد يغلق عينيه حتى سمع صوت قفل الباب. كانت كارلا والمرأة العليلة وقد وصلتا معاً على الأرجح بعد أن أجرتا جولة حول الحديقة.
مضى خوليان إلى غرفة المعيشة لتحية المرأتين اللتين أحستا بالمفاجأة. بحث خوليان عن أي أوجه شبه بينهما لكنه لم يجد سوى أقل القليل من أوجه الشبه التي قد توجد بين الأخوات أو العمات، أو حتى بين الأصدقاء. كان ذلك مثيراً للفضول لأنه لم يكن لكارلا، أو لعلها زعمت أنه لا يوجد لها أي أخوات أو بنات عم أو أصدقاء. لكن ما أدهشه بالفعل أنه لم تبدُ أي علامات مرض على

المرأة. لقد بدت تعبيرات وجهها مشرقة وهادئة مقارنة بقسوة كارلا، وذلك ما جعل الأمر يبدو كأن كارلا هي المريضة، وأن أمها، أو أمها المحتملة، هي الممرضة.
ردت المرأة على تحية خوليان لها بمزيج من الود وضبط النفس، على حين أخبرته كارلا ببساطة أنها تود أن تخلو بضيفتها. كانت تلك هي الكلمة التي استعملتها: "ضيفتي". ظن خوليان أنه قد يكون من الملائم أن يسأل هل هما بنات عم أو صديقتان، أو أم وابنتها. لكن كارلا، وهو ما كان من السهل التنبؤ به، فقدت مزاجها وقالت له: "اذهب إلى السرير، فنحن نود أن نختلي ببعضنا بعضاً. أنا على يقين أنه بإمكانك أن تعرف أننا نود أن نكون بمفردنا". بذل خوليان ما في وسعه ليسترق السمع، من غرفته، لما تتحدث فيه المرأتان، لكنهما لم تكادا تتحدثان على الإطلاق. لقد جلستا في صمت، وبعد مرور نحو ساعة صار الصمت لا يطاق. غادرت المرأتان المنزل معاً، ولم تعد كارلا تلك الليلة، أو أي ليلة أخرى لأشهر. وعندما عادت لم يكن ذلك إلا لتكتب على حائط غرفة المعيشة، بالطلاء الأحمر، أو ربما بالدم: "اخرج من منزلي يا ابن العاهرة".
لم يعد الآن يفكر في كارلا تقريباً. منذ أيام نفقت قطة دانيلا، وتذكر خوليان قصيدة لويسلافا شمبورسكا9 وذهب إلى المكتبة ناوياً أن يقرأ القصيدة للفتاة الصغيرة ليهدئ روعها. وبعد أن بحث على الأرفف لوقت، لاحظ أن المجلد الأزرق الذي نُشر لدى دار نشر Hyperion، كان أحد الكتب التي تركها في منزل كارلا. أضحت ذكرياته عن كارلا تكاد تقتصر على ذكرياته عن الكتب التي لم يحضرها معه تلك الليلة التي رأي فيها تلك الرسالة على الحائط. لم تعد كارلا الآن أكثر من مجرد سارقة للكتب، وذلك هو اللقب الذي يستخدمه أحياناً للإشارة إليها بشفاه مزمومة، على حين ينظر بخيلاء إلى رف الكتب: إنها سارقة كتب.
9 شاعرة ومترجمة بولندية (١٩٢٣–٢٠١٢).
يتخيل كارلا تحتسي قدحاً من الشاي مع أمها، أو ممرضتها المحتملة، حيث تناقشان كيفية الحصول على المال لإجراء عملية أسنان، أو لحجز تذكرة إلى لندن أو باريس أو لشبونة. يبدو أنه كان أمراً مريعاً أن يعيش خوليان مع كارلا تلك السنوات. إنه شيء مريع ومدمر.
عندما لا يعود شخص ما في رواية إلى المنزل، يعتقد خوليان أن أمراً لا تحمد عقباه قد حدث. لكن، لحسن الطالع، هذه ليست رواية: سوف تصل فيرونيكا في غضون بضع دقائق. سوف تعود بقصة حقيقية، مع اعتذار منطقي يبرر تأخرها، وبعد ذلك سوف نتحدث عن فصل الرسم، أو الفتاة الصغيرة، أو كتابي، أو السمك، أو الحاجة إلى شراء هاتف نقال، أو وعاء تركته في الفرن، أو المستقبل، وربما قد نتحدث كذلك عن الماضي.
حتى يحتفظ خوليان بهدوئه، يفكر أن الأدب، وكذلك العالم، يحفل بنساء لا يعدن إلى منازلهن، وكذلك نساء يمتن في حوادث وحشية، ولكن على الأقل في العالم، في الحياة، هناك أيضاً نساء يحدث أن يصحبن، على نحو غير متوقع، صديقة إلى المستشفى، أو قد يحدث أن ينفجر إطار السيارة في منتصف الطريق دون أن يتوقف أحد للمساعدة.
فيرونيكا هي المرأة التي لم تصل بعد، أما كارلا، فكانت المرأة التي لم توجد أبداً.
كانت أم كارلا هي المرأة التي غادرت وعادت عندما لم يكن هناك أحد يتوقع عودتها.
كارلا هي المرأة التي لم تكن هناك.
كارلا هي المرأة التي كانت هناك، لكنها لم تكن. لقد خرجت، خرجت للعناية بأمها، على المنوال نفسه الذي يمضي فيه الآخرون إلى الصيد. لقد خرجت لشراء سجائر. لم تكن كارلا هناك، على

الإطلاق لم تكن هناك. لقد خرجت لترعى أمها، خرجت للصيد.
أما فيرونيكا، فانفجر إطار سيارتها. إنها تعرف أنه ليس في مقدوري أن أذهب لأساعدها، فليس في وسعي أن أترك الفتاة الصغيرة بمفردها. سوف تغير فيرونيكا إطار السيارة.
فيرونيكا امرأة في منتصف الطريق تغير إطار السيارة. تمر مئات السيارات بها كل دقيقة، لكن لا يتوقف أي منها لمساعدتها. ذلك ما يحدث. هكذا يخمن خوليان الذي يصر على التمسك بشدة بصورة فيرونيكا وهي تغير إطار السيارة بمفردها في شارع بعيد.
تستيقظ دانيلا. إنها دائماً ما تستيقظ منتصف الليل، والآن تشير عقارب الساعة إلى الثانية عشرة. تسأل الطفلة خوليان، بصوت مكتوم ودامع، أن يهدئ روعها. يقول خوليان: "إن أمك سوف تصل قريباً. لقد اتصلت للتو، وهي على ما يرام. لقد كان عليها أن تذهب إلى المستشفى مع صديقة لها. إن صديقتها حامل وتعاني من تقلصات الحمل". ثم يضيف: "لقد كان لديهما إطاران بحاجة إلى إصلاح وهما في الطريق إلى هنا".

لا تعرف الفتاة الصغيرة معنى كلمة تقلصات، كما لا تدرك أن انفجار إطاري سيارة يعد أمراً نادر الحدوث، لكن دانيلا لم تكن قلقة على تأخر وصول أمها، أو لم تكن كذلك بالضبط. كل ما أرادته أن يهدئ خوليان روعها بأن يكون إلى جوارها؛ لقد أرادت أن يدافع عنها ضد الظلام.
يقول خوليان: "لست أدري لماذا يخشى الأطفال الظلام. عندما كنت في عمرك لم أكن أخشى الظلام". كانت تلك كذبة، أو لعلها كانت الحقيقة: عندما كان خوليان صغيراً لم يكن يخشى الظلام نفسه، بل كان يخشى من احتمال أن يصاب بالعمى. استيقظ ذات ليلة ولم يكن في وسعه أن يرى بصيص نور في أي مكان؛ اعتراه شعور، بادئ ذي بدء، أن هناك من أراد له أن يكون حبيس الغرفة، ثم اعتراه ذلك الإحساس الفظيع بأنه أصيب بالعمى. ومنذ ذلك الحين وهو لا يستطيع تحمل الظلام المطلق أو الغرف الموصدة.
"هل تودين أن أقصّ عليك قصة أخرى من الحياة السريّة للأشجار؟"
تجيب دانيلا: "نعم".
قبل ذلك بأسبوعين، أجابت دانيلا بالنفي، وقالت على نحو غير متوقع: "لقد كبرت على الحكايات، ويمكنني أن أخلد إلى النوم بمفردي". لقد كان المزاج السيئ للفتاة يعود إلى سبب محدد للغاية، ففي بيت فرناندو، ولعل ذلك حدث بعد مدة طويلة من لعب "بلاي ستيشن"، عثرت على فيديو لزواج والديها. ولعل فرناندو، تحت تأثير شعوره بتنامي تأثير خوليان في حياة الطفلة، لم يوقف الشريط، بل على العكس، جلس إلى جوارها، وكان شغوفاً بالرد على أسئلتها. لكن دانيلا أبقت نظرها مثبتاً على الشاشة في صمت مطبق. عادت الطفلة إلى المنزل وقد غمرها إحساس بالعزلة، ولم تبح بسر حزنها لفيرونيكا إلا بعد استجواب مضنٍ.
بدأت فوراً المكالمات الهاتفية من كلا الاتجاهين. بدأت فيرونيكا تكيل الاتهامات، على حين لجأ فرناندو إلى أساليب الجدل المعقدة، ووجد خوليان نفسه كالعادة مضطراً إلى لعب دور الوسيط بينهما. قال لفرناندو بلهجة المصالحة: "أنت تعرف طبيعة فيرونيكا". لم تكن نبرته صادقة على أي حال، وكان فرناندو يعرف كيف يواجه الزبائن الشديدي المراس، كما كان يعرف كيف يتفاوض للحصول على أسعار جيدة، بل يعرف حتى كيف يعزف أعمال هيتور فيلا-لوبوس10 على القيثارة، لكنه لم يعرف يقيناً طبيعة فيرونيكا. لم يسعَ أبداً إلى معرفتها، إذ إن زواجهما لم يدم سوى

ثلاثة أشهر، أو نحو مئة يوم، كما يذكر فرناندو. لقد كانت تلك هي حرب الأيام المئة، على ما يذكر من وراء ابتسامة عريضة عندما يسأله أحد عن الوقت الذي أمضاه مع فيرونيكا.
10 عازف موسيقا برازيلي (١٨٨٧–١٩٥٩).
كان فرناندو وفيرونيكا يتهيآن لحياة سعيدة عندما تزوجا. لقد قررا أن يتركا اختلافاتهما جانباً، لبعض الوقت، كما لو كانا زوجين بالفعل، وكما لو لم يكونا محض فكرة باهتة نمت رغم نذر الشؤم المحيطة بها. كان عمر فيرونيكا واحداً وعشرين عند الزفاف، وكان عمر فرناندو يناهز الثلاثين. أما دانيلا، فكانت قد أتمت للتو ستة أشهر. اعتقد فرناندو أنه بمرور الوقت سوف يعتاد الاثنان العيش معاً. أما هي، فتنبأت بأن الزواج لن يدوم أكثر من عامين، على حين لم تفكر دانيلا في أي شيء، ذلك أن الأطفال في سنّ ستة أشهر لا يفكرون (اتفق الاثنان على أن ما حدث نكتة سخيفة، لكن ينبغي أن تتم. من الأفضل التفكير في ذلك الوقت على أنه لا يزيد عن كونه مجرد نكتة، ضوضاء مفاجئة وعابرة لا يمكن مواصلة الاستماع لها أكثر من ذلك).
من المبكر للغاية أن نعرف طبيعة مشاعر دانيلا تلك الأمسية التي أمضتها أمام شاشة التلفاز. لقد رأت، على نحو مؤكد، وللمرة الأولى، أبويها معاً، مثل أي زوجين حقيقيين. كانت فيرونيكا تلعب دور العروس، وقد صفّت شعرها الطويل على شكل كعكة. لم تكن أنيقة كما الحال الآن، لكنها كانت باهرة الجمال. وكان فرناندو يبتسم كثيراً، وبدت عليه النشوة أكثر من العصبية. بدا طبيعياً في البدلة التي استأجرها. كان هناك قسّ نحيل للغاية بيدين رقيقتين وببلاغة محكمة بارك العرس، على حين قبّل أبوا دانيلا بعضهما بعضاً من شفاههما على نحو متواضع. كان زفافاً جيداً، أو على أي حال، كانت لحظات جيدة. كانت دموع الفرح تملأ عيون العمات، في حين اختلط الكبار بالصغار على نحو غير مرتب. ظهر عمال المكتب بربطات أعناقهم الجديدة ذات الألوان المزركشة، وقد سحبوا شعرهم إلى الخلف، ونظروا إلى الكاميرا مختالين بزيهم، ورسموا على وجوهم تعابير السعادة التي قد تبدو مصطنعة، وإن كانت بلا ريب صادقة.
ولا ريب أن ما كان أكثر إزعاجاً لدانيلا من رؤية أبيها وأمها يقبلان بعضهما بعضاً رؤيتها نفسها وكان عمرها ستة أشهر، وهي تبتسم أو تبكي، على حين تنتقل من ذراع شخص ما إلى ذراع آخر، اعتماداً على من يذهب إلى المرحاض، أو من يصب الشراب. أما ضيوف الحفل وفي أيديهم كؤوس النبيذ، فأطروا كثيراً على دانيلا، أو داني كما سموها، التي رأوا أنها سوف تكون أسعد من الآن فصاعداً. لقد كانت الفتاة الصغيرة زينة المناسبة، وكان لها شعر خفيف، ووجنتان ورديتان. كانت الطفلة تبكي أو تضحك أو تمر بين أناس لم تعد تعرفهم.
لم ترَ دانيلا بعد، أو لعلها لن ترى مطلقاً الفيديو الثاني، وهو فيديو الزواج الثاني لأمها. لكنها تتذكر، بقدر من الوضوح، يوم تزوجت فيرونيكا بخوليان. هناك الكثير من الصور... زواجان، حفلتان، مستقبلان مختلفان. فمن ناحية هناك أبواها وهي ذاتها، وعمرها ستة أشهر، ومن ناحية أخرى هناك أمها وخوليان، وهي كذلك وعمرها خمسة أعوام. في مواجهة ذلك الجو الرزين الذي يهيمن على الكنيسة، هناك مكتب مهترئ، ومكتب خشبي تم طلاؤه حديثاً، وامرأة تمد في طريقة نطقها الجمل على نحو غير ضروري، وكتاب صغير وقّعه العروسان على عجل، وكذلك

قبلة مقتضبة. فوراً تهرول الأم نحو بنتها، التي تود ولا تود في الوقت نفسه أن يعانقها القليل من المدعوين الذين يحتفلون بجلبة وبتصفيق حاد.

كان أقل ما أعجبها عن الزواج التالي أن أمها اختارت أن ترتدي رداء أزرق بدلاً من رداء العرس. لكنها أمضت وقتاً طيباً. كانت تلك في حقيقة الأمر هي الحفلة الأولى في حياتها، أي الحفلة الأولى التي تتذكرها: لقد التهمت ثلاث قطع من كعكة ضخمة بالحليب، وهي الكعكة التي صنعتها فيرونيكا لتحتفل بقصتها مع خوليان، كما رقصت كثيراً مع أبناء عمومتها، ومع جدها، ومع أمها، بل حتى مع زوج أمها الجديد الذي لم يكن في ذلك الوقت يختلف كثيراً عن أي ضيف على الغداء، وأصبح الآن، بعد ثلاث سنوات، يهدئ روعها لتنام بأن يقص عليها حكاية من حكايات الأشجار.

"هل ترغبين في قصة أخرى من الحياة السريّة للأشجار؟" تجيب دانيلا: "نعم". ويوافق خوليان بتردد، فعيناه تؤلمانه، أو لعلها أذناه. ليس يدري. يود أن يخلد إلى النوم بغتة وبلا مسؤولية، ليستيقظ غداً أو أمس، كشخص جديد. ينبغي أن تكون القصة قصيرة، أو لعلها مجرد بداية قصة حتى تخلد الفتاة إلى النوم من جديد. لعلها قصة عملاق يرعى الأشجار، كما لو كانت نباتات في حديقة صغيرة، أو لعلها مغامرة صبي صغير تسلق شجرة بلوط، ولم يرغب مطلقاً في النزول من جديد. يخمن خوليان أن الحبكة آنئذ سوف تتعقد، ولعله من الأفضل أن يرتجل شيئاً. يفكر في أن الشيء الوحيد الذي له معنى هو الارتجال:

تتحدث شجرتا الحور والباوباب عن المجانين من البشر الذين يزورون المتنزه. تتفق الشجرتان من البداية على أن هناك العديد من المجانين الذين يذهبون إلى المتنزه. تقول شجرة الحور: "يعج المتنزه بالمجانين لكن أفضل مجنون عندي تلك المرأة ذات الذراعين الطويلتين التي جاءت للتحدث معي ذات يوم. أتذكر الأمر كأنه حدث أمس، رغم أن ذلك حدث منذ ردح طويل من الزمن. لعل عمري كان ٢١٥ أو ٢٢٠ عاماً عندما جاءت تلك المرأة، أما أنت، فلم تكوني قد ولدت بعد".

أدرك خوليان فوراً أنه أخطأ؛ تستيقظ دانيلا من غفوتها وقد اندهشت من عمر شجرة الحور؛ كانت تعتقد أن شجرتي الحور والباوباب قد عاشتا دائماً مع بعضهما بعضاً، وأنهما صديقتان حميمتان منذ زرعهما في المتنزه. للخروج من هذا المأزق، ينتحل خوليان مجموعة من التواريخ، ومن تلك التواريخ يستنتج أن عمر الباوباب ١٥٠٠ عام، وأن عمر الحور لا يتعدي الأربعين. ظلت دانيلا حائرة، على حين واصل خوليان روايته مدركاً أن عليه أن يبذل مجهوداً كبيراً لينقذ قصته:

تقول شجرة الباوباب إنها كانت امرأة ذات ذراعين طويلتين. اعتقدت الشجرة للوهلة الأولى أنها فتاة صغيرة لأن لديها وشماً لكنها لم تكن كذلك، فلقد كانت امرأة بذراعين طويلتين تلامسان الأرض. لم تكن امرأة جميلة لكنها غير عادية. لقد كان لها عينان خضراوان، وشعر قصير أبيض، وبشرة داكنة، فضلاً عن علامة سميكة على أسنانها إضافة إلى هاتين الذراعين الطويلتين اللتين تلامسان الأرض. ولقد كانت، أو لعلها لم تكن، رسامة، وكان اسمها أوتوكو.

قرر خوليان أن يركز انتباهه على المرأة المجنونة رغم أنه لم يعد يفكر فيها كامرأة مجنونة، بل كامرأة وحيدة، أو كامرأة تناجي نفسها وتتحدث إلى الأشجار. إذاً، يذكر مناجاة أوتوكو مع ذاتها أمام شجرة الباوباب العتيقة:

"أنا رسامة، لكن لدي مشكلة، ويتعين عليَّ أن أتوقف عن الرسم. تتمثل المشكلة في ذراعاي اللتين استطالتا كثيراً. من العسير على أن أرسم بهاتين الذراعين الطويلتين؛ لقد أُنهكت عيناي، فالقماش الذي أرسم عليه بعيد للغاية، ولا أكاد أستطيع أن أركز انتباهي عليه".

وتواصل قائلة: "لقد وصفوا لي نظارات طبية، لكنني لا أنوي أن أستخدم تلك النظارات، على الأقل حتى أتخلص من ذلك الوشم. منذ كنت فتاة صغيرة كان شعاري في الحياة: إما النظارات وإما الوشم. واخترت الوشم. كيف كان لي أن أعرف أن ذراعيّ سوف تطولان إلى هذا الحد، وأنني لن أتمكن من الرسم عند ذلك العمر الصغير؟"
"ليس من الشائع أن تنمو ذراع شخص ما كثيراً. قد يصدق ذلك على الأغصان، فالأغصان تنمو، كما تعرفين أكثر مني يا شجرة الباوباب. الأغصان تنمو حتى تموت بغتة، لكن ليس من الشائع أن تطول ذراعا شخص ما إلى حد كبير".
"ليس من الشائع أن يحدث ذلك، لكنه كذلك قد لا يكون غريباً. لعلي واحدة من ألف أو من مليون شخص، وأنا أحب ذلك؛ تلك ميزة. إنها مشكلة، لكنها ميزة كذلك".
"لذا سوف أبحث عن عمل آخر. أنوي أن أجمع أوراق الشجر من الأرض، لأن ذلك سيكون يسيراً لي. لن يكون عليَّ حتى أن أنحني. سوف أذرع المتنزهات اليوم بطوله لأجمع أوراق الأشجار من الأرض".
يواصل خوليان حكاية القصة رغم أن ذلك لم يعد ضرورياً على الإطلاق لأن دانيلا قد خلدت إلى النوم من جديد. لكن لم تعد الرسامة، أو جامعة الأوراق هي التي تتحدث الآن، بل امرأة أخرى، امرأة أكثر جمالاً من أوتوكو، أو على الأقل امرأة لها ذراعان عاديتان، ليستا بذلك الطول. ليست فيرونيكا على أي حال، ليست فيرونيكا التي تذرع أحد الشوارع البعيدة، وعلى نحو ما فيرونيكا هي المرأة الوحيدة التي لم يتصور خوليان أن تكون في هذه القصة التي يرتجلها بصوت مرتفع ليقصها على لا أحد، أو على تلك الفتاة الصغيرة الغافية.
في اليوم نفسه الذي اكتشفت فيه دانيلا ذلك الفيديو، انتهز خوليان وفيرونيكا الفرصة

ليمارسا الحب بضراوة، أو على نحو فضائحي، كما قالت فيرونيكا ضاحكة وهي تربت على ظهر خوليان.
أحضر الاثنان قنينتين من نبيذ ومكثا في استحضار عبارات وكلمات أطالت إلى ما لا نهاية عمر الحاضر. الواقع أنهما فقدا الإحساس بالواقع. نظرت فيرونيكا إلى خوليان، وقالت ببطء كما لو كانت تتهجّى الكلمات: "إن مت، فلا أريد أن تعيش دانيلا مع فرناندو. أنا أفضل أن تظل معك، أو مع أمي". تصرف خوليان كما يتصرف الزوج المثالي في الأفلام السيئة، فضمها إلى صدره بقوة قائلاً: "إنك لن تموتي". ثم مارس معها الحب من جديد، وضحكا من جديد، واستمرّا في احتساء النبيذ حتى مطلع الفجر.
إن ذكرى تلك الكلمات تصيبه بألم حاد. أجرى للتو مكالمات عدة لا طائل من ورائها، ما زاد إحباطه. أخذ خوليان يدور في الشقة حتى انتفخت أصابع قدميه، وكان يجر خطواته، كما لو كان يمشي عبر حقل مزروع بالزهور أو بالمتفجرات. في غرفة الطفلة، كانت ساعة تشبه "سبونج بوب" تشير إلى الثانية والنصف فجراً. لعل تلك كانت المرة الأولى التي ينظر فيها أي منهم إلى الساعة وهي تشير إلى الثانية والنصف فجراً على حد ما ظن خوليان، كما لو كان هذا اليقين التافه سوف يُحدث نوعاً من التوازن مع الانتظار.
إذاً، سوف تتواصل الرواية ما دامت فيرونيكا لم تعد. لا توجد في الوقت الحاضر صور، ولا موسيقا في خلفية الحدث، محض جملة تبدو كما لو انتُزعت من سياقها. جملة يعيد خوليان

تكرارها بصوت يزداد ارتفاعاً، ثم يزداد هدوءاً حتى يصمت من جديد. كما لو كان شخصٌ ما، من مقعد خفي في أوركسترا، يعزف مع صوت خوليان، الذي يعلن عشر مرات تلك الجملة الخارجة عن سياقها: "أنا ابن عائلة ليس فيها أموات". ذلك ما يقوله وهو يحدق في الحائط، كما لو كان الحائط واجهة محل: "أهلاً! أنا ابن عائلة ليس فيها أموات".

كان ذلك منذ وقت طويل، وفي مكان منزوٍ من الجامعة، كان خوليان يدخن فيه الحشيش ويحتسي جرعات كبيرة من النبيذ اللزج الممزوج بفاكهة الشمام. كان خوليان قد أمضى وقت المساء مع مجموعة من رفاق الدراسة، وكان يتبادل معهم قصصاً عن العائلة، وفي تلك القصص، بزغ موضوع الموت مرات عدة. كان خوليان الوحيد من بين الحضور ممن ينتمي إلى عائلة ليس لها أموات، وقد ملأه ذلك الاكتشاف بالكثير من المرارة؛ لقد ترعرع أصدقاؤه وهم يقرؤون كتباً خلّفها الأبوان المتوفيان أو الإخوة المتوفون في البيت. لكن أسرة خوليان لم يكن فيها موتى، ولم يكن لديها كتب.

بيت من طابق واحد، وملحق به حديقة مزهرة. كانت الأسرة تمضي كل شتاء وراء السور الذي بُني من الطوب، وكان أفرادها يرتدون معطف شتاء أبيض. كان خوليان يحب أن يكرر ذلك اللون، إنه لون شتائي أبيض. لعلهم لم يطلوا المنزل إلا مرة واحدة أو اثنتين، ولكن خوليان يفضل الاعتقاد أن العائلة بأسرها كانت تطلي المنزل كل عام عند بداية الصيف. ظل المنزل جديداً لعقود، ولعله لا يزال كذلك. ولعل عائلة جديدة قد سكنت المنزل الآن. يفكر خوليان: "لعله لن يمر وقت طويل قبل أن تختفي العائلة الجديدة داخل أسوار ذلك المنزل".

هيمن الحنين العميق على خوليان، إذ عثر على صورة رمح يرتفع إلى عنان السماء. كان ذلك عام ١٩٨٤، عام أولمبياد لوس أنجلوس. لقد أهدر خوليان بحقٍّ وقته مركزاً على البونساي. يدرك الآن أنّ الكتاب الوحيد الذي يجدر به أن يكتبه ذلك الذي يتناول تلك الأيام الخوالي التي تعود إلى ١٩٨٤. إن ذلك هو الكتاب الوحيد المسموح به، إنه الكتاب الوحيد المهم.

بقدر من الجهد، يتمكن خوليان من عزل المشهد: إنه يجلس على كرسي ذي جلد زائف، وإن كان يبدو حقيقياً، أمام التلفزيون، مركزاً على انطلاق الرمح. يسكن الموت قريباً للغاية من تلك المنازل، لكن الصبي لا يعرف ذلك في ١٩٨٤، وأنّى له ذلك؟ إنه يرقب طيران الرمح، أو لعله يرقب العدائين. إنه يحب أن يشاهد أولئك الرياضيين المكسيكيين الذين لا يسمح لهم بالعدو، كما يحب أن يقلد حركاتهم، إذ يهرولون بأقصى ما يمكنهم من سرعة وفي تناغم تام.

في إحدى تلك الأماسي، عاد والد خوليان من العمل ومعه أربعة صناديق ضخمة. ساعد خوليان وأخته في فتح الصناديق: احتوى الأول على مئات من الشرائط التي تعود إلى "عمالقة الموسيقا"، أما الثلاثة الباقية، فضمت مكتبة كاملة من الأدب العالمي والإسباني والتشيلي. عشرات من الكتب ذات الأغلفة "البيج" والحمراء والبنية التي تضم صفحات زرقاء سميكة. لم يكن لديهم حتى ذلك الحين سوى دليل إرشادي لإصلاح السيارات، ومقرر لتعليم الإنكليزية أصدرته "هيئة الإذاعة البريطانية" (BBC). كانت الكتب الجديدة ثروة متواضعة، أو لعلها مقياس على رخاء أسرة.

لم يكن من السهل تكوين تلك الأسرة. كان من الضروري نسيان بعض الأصدقاء، وتكوين أصدقاء جدد. كان من الضروري العمل بهمة، وغض النظر عن الكثير من الأشياء، كما كان من الضروري اجتياز أنهار من أسئلة محرجة. كذلك كان من الضروري البحث عن مسلك أو طريق

للوصول إلى مستقبل بلا سعادة وبلا عوز. والآن لا مال، ولا خواتم، ولا دبابيس شعر، ولا خطابات عتيقة، ولا صور داكنة. ما الحياة إلا ألبوم صور كبير يجتر الماضي الحافل بالألوان.
يلعن خوليان ذلك الخواء. لربما كان عليه أن يمضي وقته في كتابة تلك الحوارات التي تناهت إليه من الحانة أسفل الشقة التي تقاسمها مع كارلا. لعل ذلك كان سيكون أفضل بكثير. بدلاً من التركيز على صورة ميتة، كان عليه أن يكتب حيوات فعلية، مثل حياة ذلك الصبي عام ١٩٨٤. وبدلاً من كتابة أعمال أدبية، لعله كان من الأجدى له أن يضل طريقه بين المرايا المألوفة. إنه يتخيل رواية من فصلين فقط: الأول قصير للغاية، ويسجل ما الذي عرفه الفتى في ذلك الوقت، أما الثاني، فطويل للغاية، أو لعله لا نهائي من الناحية العملية. إنه فصل يتصل بما لا

يعرفه الفتى. لا يتعلق الأمر بهل يرغب في كتابة قصة أو لا. إن ذلك ليس مشروعاً مستقبلياً، بل محض رغبة في أن يكون قد كتب ذلك الكتاب منذ سنوات ليتسنى له أن يقرأه الآن.
في نهاية ذلك اليوم، وعندما وضع الأب الكتب في غرفة المعيشة، جمع العائلة حول لوحة "المتروبوليس"11. عند التاسعة مساء هناك عائلات يشرع فيها الأب في معاقرة الخمر، والأم في كيّ الملابس، على حين يلعب الأطفال في الساحة، متظاهرين أنهم تعرضوا للأذى، أو يمكثون في غرفهم في الظلام، أو في الحمام مستغرقين في عمل فقاعات من صابون، أو في المطبخ يصنعون حلوى غريبة الطعم من لبن رائب. هناك عائلات أخرى ترقب هبوط الليل مع إيقاعات لحوارات عميقة في الصالون. هناك أيضاً عائلات تتذكر موتاها في تلك الساعة وتهيمن على وجوهها ملامح الأسى. لا أحد يلعب، لا أحد يتكلم، فالكبار يكتبون رسائل لا يقرؤها أحد، أما الصغار، فيطرحون أسئلة لا يجيب عنها أحد.
11 لعبة ابتُكرت في هنغاريا (المجر).
لكن هذه، على النقيض من كل ذلك، كانت عائلة تنتظر وقت حظر التجوال وهي تلعب "المتروبوليس". كان كل شيء جاهزاً: اللعب، والمباني، والشوارع. أما اللاعبون، فكان أحدهم بالغ الجدية في ما يفعل، وإلى جانبه امرأة ترتدي معطفاً، وعلى مُحيّاها نظرة حزينة، فضلاً عن فتاة جميلة صغيرة، وصبي عمره ثمانية أعوام أو تسعة، يسمى خوليان، وإن كان يجب أن يسمى خوليو... تلك قصة لا تصدق لكنها الحقيقة: لقد خططا لتسميته خوليو، وكان ذلك هو الاسم الذي قالاه لموظف السجل المدني، لكنه سمعه خوليان، وذلك ما سجله في شهادة الميلاد. لم يشأ الوالدان أن يصححا الاسم، لأنه حتى موظف السجل المدني في تلك السنوات كانت له هيبة واحترام.
إذاً، على الطاولة هناك رجل داكن البشرة، وامرأة ناصعة البياض، وفتاة خمرية اللون، وفتى يميل إلى السّمرة. كان الرجل الداكن البشرة دائماً ما يفوز بالمباراة. وكانت المرأة الناصعة البياض تشعر بالملل سريعاً، وتنسحب من المباراة. أما الفتاة الخمرية، فكانت تواصل اللعب حتى تخسر تماماً، وكانت تعد نفسها، بعينين لا تستقران، أنها سوف تهزم الرجل الداكن في المرة المقبلة. أما الفتى الذي يميل إلى الاسمرار، الذي تغير اسمه، فلم يكن يرغب في أن يربح أو يخسر، بل كل ما يرغب فيه هو الحصول على المزيد من الكوكاكولا. يحب الأب تلك المقاومة التي تبديها ابنته لكنه يحس بالسعادة عندما يهزمها، أي عندما يربح، وعندما يواصل الفوز دائماً. أما الأم، فعلى النقيض، كانت قد رهنت ما تملك وقسّمت المال إلى نصفين متساويين، وجلست بين طفليها وهي تتدرب على أغنية لفيوليتا بارا12. إنها سوف تشرع في احتراف الغناء. كان ذلك كل شيء لا

أكثر ولا أقل: أن ترقبهم وهم يلعبون، أن ترى وجوههم عام ١٩٨٤، أن تضحك منهم، أن تشعر بالأسى عليهم، أن تحظى بصحبتهم، مع ذلك الضجر العميق الذي يشعرون به.
12 مؤلفة موسيقية وكاتبة أغنيات تشيلية (١٩١٧–١٩٦٧).
الآن يعيش خوليان بالقرب من توبالابا، وهو شارع يشبه لون السماء. قبل ذلك كان يعيش في شارع أقل زرقة يدعى إيرارزابال، على الناصية الأخرى من بلاسا نونوا، مع امرأة كانت على وشك أن تصبح عدوة له. لقد أتى إلى البيت من شوارع أخرى لا تظهر في لعبة "المتروبوليس"؛ لقد كانت بعيدة جداً، وتميل إلى الغرب من العاصمة العملاقة. تتجسد تلك الشوارع، غير الحافلة بالألوان، في ذاكرته بلون رمادي. كانت تلك الشوارع أثناء طفولة خوليان وإبّان مراهقته المبكرة، بيضاء. الآن غطاها الغبار فقط. الآن فقط، أي أخيراً، نجح الزمن في تلطيخها.
إنها الرابعة فجراً. يبدأ خوليان التفكير في احتمال كان قد رفض التسليم به من قبل: إن فيرونيكا ليست في أحد الشوارع البعيدة، لكنها في بيت رجل ما يقنعها هذه المرة ألا تذهب إلى المنزل.
يجمّع الصورة دون أن يغفل التفاصيل: يتخيل حوائط رطبة، وضوءاً ينبعث من موقد زيتي ليشعّ على العاشقين، إنهما لا يواجهان الكاميرا، فليس لديهما وقت ليتوقفا ويشيرا إلى الكاميرا. هناك رائحة قشر البرتقال أو العطر، عطر ذوت رائحته نتيجة تلاحم جسديهما، فيرونيكا بفخذيها اللامعين وبجسدها المتناسق والساخن.
يتخيل خوليان قائلاً لنفسه: "إن ذلك ليس منزلاً". يتطلب الأمر منه وقتاً ليصنع بدلاً من ذلك غرفة تجذب الانتباه، غرفة تعج بالمرايا، مع نافورة يبدو أنه يصدر عنها صوت ضوضاء اصطناعية. يتخيل فيرونيكا وقد أثملها الويسكي الممزوج بقليل من الكولا وهي تتحرك ببطء فوق شخص ما. ذلك هو التفسير الذي لا مراء فيه؛ لم تعد فيرونيكا إلى الدار لأنها في الفراش مع مدرس الرسم. لعل ذلك بدأ صغيراً، فمعظم النار من مستصغر الشرر. لكن ذلك ما حدث، ففي هذه اللحظة، يلجها مدرس الرسم، أو مدرس القواعد، أو مدرس فيزياء الكم للمرة السادسة أو السابعة. يصيح خوليان: "لا تقلقي، لا تقلقي، لا تتعجلي، وواصلي المضاجعة أيتها العاهرة، يمكنك أن تفعلي ذلك للمرة الأخيرة".
لكن تلك لم تكن إحدى الألعاب التي تحدث أمام الجمهور ويمكنك فيها أن تتقمص شخصية شحاذ وتنجو من سخرية الجمهور. لم يتمكن خوليان من تجنب تلك الحبكة مهما أذكى شعلة خياله الجامح؛ إنه على يقين أن ذلك لم يكن السبب في تأخر زوجته. لقد تاهت فيرونيكا في شارع بعيد، تلك هي الصورة التي تضخمت وتحولت إلى نوع من الحقيقة.
يتمدد على الأرض كأسد في عرينه، أو لعله أشبه بقطة، أو بذلك السمك الفظيع الذي اختارته الطفلة الصغيرة بدافع الشفقة منذ أشهر. يفكر خوليان: "لو خرجنا من هذه الأزمة، سوف ندخر بعض النقود، ونذهب لتمضية العطلة في فالديفيا أو بويرتو مونت. أو لعله من الأفضل ألا نأمل

في الكثير: لو خرجنا من هذا الموقف، سوف نذهب أخيراً، يوم السبت، لنرى الثلج".
لطالما رفض تلك الفكرة مدفوعاً بكراهية قديمة تعود إلى أيام التلمذة، لكنه يعود الآن للتفكير فيها. إن ثلج تشيلي للأثرياء، وهو يعرف ذلك جيداً، لكنه اعتاد العيش مع أناس منعزلين للغاية عنه، وإن تحولوا في نهاية المطاف إلى أصدقائه. وبغتة تنهار خطته، فهناك مشكلة جوهرية في صياغة الكلمات: إنهم لن يخرجوا من ذلك المأزق. إن الخروج من ذلك يعني عودة فيرونيكا كأن شيئاً لم

يكن، وذلك احتمال قد أغلق لساعات. إن الخروج من ذلك ربما يعني الاستيقاظ، ولكنه لا يستطيع الاستيقاظ لأنه مستيقظ.
مع ذلك، ظل يفكر في الثلج، طيف من فضاء عادة لا نجده سوى في الروايات، إنها كلمة تصيب الصغار بالمرض، أما الكبار، فيتذكرون بها قصص حبهم العتيقة. الثلج جمال خام وزائف مثل البونساي التي يمتلكها. لطالما تمنى أن يرى الثلج ذات مرة في حياته. عندما كان في الثامنة عشرة، تمنى لو صعد إلى الحافلة، وتمنى لو حصل على عمل في مطبخ فئة خمس نجوم. تمنى لو يتلقى الأوامر من كبير طهاة زنجي، أو جندي متقاعد. يتخيل نفسه ينظر من أسفل، من وراء الثلج، إلى السماء التي تعج بالسياح.
يقترب من حائط الغرفة البيضاء، ويحاول أن يقرر، بنوع من الجدية العبثية، هل لون الجدار أبيض مثل الشتاء، أم أبيض مثل الثلج. لم يدرِ هل من الممكن طلاء جدار بلون الثلج. لم يرَ الثلج قط من قبل. يغلق عينيه ويضغط على جفنيه لعشرين ثانية أو ثلاثين، ثم يعود بحذر وبخوف إلى قصته بحقائقها الراسخة التي تشبه أحياناً كتاباً يتناول طريقة الطلاء. هناك ثلاث غرف، وثلاثة ملصقات على الجدران. أزرق وأبيض وأخضر و"بيج" وأحمر وبني: شارع أرتورو برات بني، والأدب التشيلي بني، الغرفة بيضاء، ولعل الثلج كذلك. الشوارع ليست بيضاء؛ الشوارع ذات لون أزرق فاتح، أو أزرق غامق، أو أزرق مائل إلى الخضرة، أو لازوردي، أو أحمر، أو وردي، أو أصفر... الوسادة حمراء، ومنطقة الريكوليتا وردية، أما شارع توبالابا، وهو الذي يوازي الممر الذي يسكن فيه الآن، فهو بلون السماء الزرقاء، وكذلك الحال مع بيلباو. أما لون شارعي العاشر من يوليو وبيكونيا ماكينا، فهو برتقالي.
في حين يلعب الأب والأبناء "المتروبوليس"، تدندن الأم بدقة متناهية أغنية لفيوليتا بارا. يفكر خوليان دون أن يبوح بذلك: إن أمي تغني أغاني التيار اليساري كما لو كانت أغاني التيار اليميني، إن أمي تغني أغنيات ليست لها كما لو كانت تلقي بنفسها في كرسي كبير في الليل وتحلم بالمعاناة الحقيقية. إن أمي أداة تعمل على تحويل أغاني اليسار إلى اليمين. إنها تغني باندفاع، الأغاني نفسها التي تغنيها النسوة الأخريات اللواتي يتشحن بالسواد ليتذكرن موتاهن.
يستمع لأمه بصوتها العذب وهي تغني أغنية بارا:
كي أنساك
سوف أجوب الأرض
على أمل أن أعثر
على علاج لأحزاني
الآن يبحث في الظلام عن وجه فيوليتا بارا النحاسي. يتخيلها تغني في غرفة قارسة البرد، ذات سقف مرتفع وأرض صلبة؛ إنه يبحث عن صورة امرأة وحيدة تتحدث إلى الزهور:
قلب شجرة الليمون
عندما تكبر أحزاني
تضحي أزهار حديقتي
هنَ ممرضاتي
يترنم خوليان، بصوت جاف، ذلك البيت: "تضحى أزهار حديقتي / هن ممرضاتي". لطالما اعتقد أن تلك هي أجمل أغنية سمعها على الإطلاق. لكنه الآن يدع تلك الموسيقا وراءه.

يحيّر الانتظار خوليان فيستحضر قائمة طويلة وغير دقيقة لنساء وحيدات يتحدثن إلى أنفسهن. يفكر خوليان في أنّ أفضلهن وأكثرهن جنوناً إميلي ديكنسون13. لديَّ الآن اثنتان: فيوليتا بارا وإميلي ديكنسون، إنهن على رأس قائمة النساء الوحيدات اللواتي لا يتحدثن إلى أي أحد في الحديقة. يرى وجه ديكنسون الأبيض المراوغ، وينشد بصوت مرتفع إلى لا أحد، إلى البنت الصغيرة الغافية: "شطرنا من الليل ما نتحمل / وشطرنا من الصباح". ويعيد تكرار أبيات ديكنسون على نحو لا إرادي، كما لو كان يعثر على نفسه بصوته: "شطرنا من الليل ما نتحمل / وشطرنا من الصباح".

13 شاعرة أميركية (١٨٣٠–١٨٨٦).

يترجم خوليان العنوان فقط على نحو غير ملائم: "لنتحمل نصيبنا من الليل، لنحمل عبء الليل، لنتحمل الظلام". الهدف أن يرسم القلم خطوطاً، وأن يغطي الحبر الصفحة بمداد أسود. يضيف صوتاً إلى الصفحة السوداء. لعل إسهامه الفعلي هو ذلك الصوت، أو لعله عدّ السيارات التي تمضي مسرعة، أو التي تتوقف بغتة في منتصف الطريق، أو عساه يرسم نساء وحيدات مع قطع من الثلج الأسود، أو يخلق كلمات وينساها في الضوضاء.

الآن يرتل، لمرة أخرى، كالمجنون أمام لا أحد كلمات: تسامح، تحمّل، واصل، كن صبوراً، تجلد، الصبر، تحمل المسؤولية، تحمل مسؤولية الليل، تقبل الظلام، لنعش بنصيبنا من الليل، لنتقبل شطراً من الليل، لنهزم الظلام، لنظل بعد الضوء، لنمضِ بعيداً في الليل، لنهزم الظلام، لنظل بعد الضوء، لنمضِ بعيداً في الليل، لنهزم الظلام، لنظل بعد الضوء، لنمضِ بعيداً في الليل، لنتحمل مسؤولية الظلام، لنتحمل الليل.

الهدف أن يخط القلم خطوطاً، وأن يغطي الحبر الصفحة بمداد أسود.

لكن ماذا عن دانيلا؟ كيف ستصبح حالُها؟

جلس يحرك فنجاناً من الشاي أربعين دقيقة. وعندئذ دار في خلده ذلك السؤال العاجل، وهو ما لم يساعده على أن ينأى بنفسه، وذلك ما كان يريد: المسافة. لقد أراد أن يخترع، أو أن يحقق، أو أن يشتري أعواماً أو كيلوغرامات من مسافة، لأن الساعة قاربت الخامسة صباحاً، والكتب تترى أمامه، حتى لو كانت مغلقة.

وماذا عن الكتاب الآخر، ذلك الذي قرأه مراراً وتكراراً حتى أصبح متهتكاً؟ سوف تقرأه دانيلا ذات يوم، وبعد أن تقرأه سوف تأتي إليه قائلة: "لقد قرأت روايتك"، "لقد أعجبتني"، "لم ترقني"، "إنها قصيرة حقاً"، أو لعلها لن تذهب إليه، لأنه آنئذ سوف يكون وحده بعيداً، أو لعله يكون مع شخص ما، أو مع أطفاله. لقد أزعجه هذا الاحتمال الأخير كثيراً.

كان عليه أن يخرج رأسه في الهواء القارس. كان عليه أن يفتح النوافذ، لكنه كان يكره فتحها. يتخبط، في الظلام، وهو يفكر في مكانه في لعبة جديدة لا يعرف قواعدها. لعل أعداءه الذين لم يكن يعرفهم قد قرروا أن يجتمعوا ضده.

أو لعل الأمر أبسط من ذلك بكثير، وإنما هو يبالغ كالعادة: سوف يعود الهدوء، وسوف يضحي من جديد صوتاً خافتاً في نهاية المطاف. إن ذلك ما يود أن يكون عليه عندما يكبر في العمر: محض صوت خافت.

يقول خوليان بصوت مرتفع: "المستقبل طوع يمين الأصوات الخافتة".
يقول: "أهلاً، صباح الخير. أنا صوت خافت".
أنا أفضل صوت خافت متاح في الأسواق اليوم.
يتخيل دانيلا وقد بلغت الخامسة عشرة وهي تجلس في حافلة عائدة من رحلة إلى الريف. لقد أضحت بشرتها أغمق قليلاً لكن نظرتها لم تزل على حالها. تتطلع بعينيها اللتين تميلان إلى الأخضر إلى المشهد الطبيعي من حولها. إنها لا تقرأ، ولا تستمع للموسيقا. إنها تغمز بعينيها من وقت إلى آخر، كما لو كانت تداعب رموش عينيها، وبعد ذلك تطيل التحديق في الطبيعة من حولها، في التلال الجرداء، في الخيول الجامحة، في لوحات الإعلانات التي لا تنتهي.
يتخيل دانيلا في سن العشرين، في صالة انتظار، تتصفح المجلات، وتصفف شعرها وقد لونته بخصلات زرقاء. كان في مقدور خوليان أن يتابع تلك الصورة حتى العثور على ماذا كانت تنتظر، أو من تنتظر، لكنه لا يود أن يعرف الكثير عن ذلك. لقد أراد أن يعرف القليل فحسب.
ثم يتخيلها في الخامسة والعشرين في متنزه: تحمي دانيلا نفسها من لهيب الشمس بكلتا يديها، وتحدق في البعد، لعلها ترغب في العثور على بائع بوظة أو حلوى، أو بعض الأصدقاء الذين دعوها لرحلة أو لشواء، أو لعصير صبار.
يتخيلها خوليان وهي في الثلاثين. هكذا يفكر خوليان في أوقات زمنية يمتد كل منها خمسة أعوام وهي على الشاطئ مع صديقها إرنستو. إنهما يمشيان على الشاطئ، إنه يسبقها، أو لعلها تجر قدميها، أو تهرول مضطرة حتى تتمكن من الشعور بالأرض تحت الرمال.
عند الثلاثين سوف تقرأ دانيلا رواية خوليان. ذلك ليس ضرباً من الظن، إنه يفتقد القدرة على التنبؤ، كما أن تلك ليست رغبة، إنها تقترب من الخطة المحكمة، أو النص الليلي الذي كتب بومضة من ضوء وأملاه الإحباط. إنه يود لو يكون في مقدوره أن ينظر إلى قبس من مستقبل يمكن أن يوجد دون الحاضر. إنه يجمع الحقائق عن وعي كامل مع خالص الحب، على نحو يحمي المستقبل من الحاضر.
ليس من المهم أن تعود فيرونيكا إلى الدار أم لا، إن ماتت أو ظلت على قيد الحياة، إن مضت أو ظلت؛ ليحدث ما يحدث، ففي كل الأحوال سيصبح عمر دانيلا ثلاثين عاماً، وسوف يكون لديها صديق. يقول خوليان، وصوته يشبه عاصفة من هواء جاف، ووجهه يتحرك، بلا خوف، صوب الظل: "عند الثلاثين، مهما حدث، سوف تقرأ دانيلا كتابي".
خوليان وصمة تُمحى وتذوي.
فيرونيكا وصمة تمحى وتظل.
المستقبل هو قصة دانيلا.
يتخيل خوليان ويكتب تلك القصة، قصة اليوم الآتي. المكان هو نفسه، ودانيلا ما زالت تعيش في الشقة نفسها التي تعيش فيها الآن، وإن كانت قد تبدلت قليلاً، فلم تعد الحوائط خضراء وزرقاء وبيضاء، وإن كانت بعض الأشياء، رغم مرور السنين، قد بقيت على حالها. تعرف دانيلا أين تجد الشاي، ومحمصة الخبز، والدبابيس، والمصباح اليدوي، وملابس الصيف. الآن لا يوجد سجاد متسخ، أو نوافذ مكسورة. الآن لا توجد عناكب، أو صراصير، أو نمل. تقيم دانيلا في الغرفة نفسها، أي الزرقاء. إن غرفة الضيوف هي الآن بالفعل غرفة ضيوف، فلقد عاش أغلب

أصدقائها فيها بعد أن غادروا منازلهم، أو بعد أن فقدوا وظائفهم.
إنها تعمل اختصاصية بعلم النفس. كان هناك وقت لم يكد فيه الجميع يستطيعون اتخاذ أي قرار دون استشارة اختصاصي بعلم النفس. كانت تلك بمكانة خرافة جاءت إلى تشيلي في وقت متأخر، ولم تستمر طويلاً، وبين عشية وضحاها فقد مئات الاختصاصيين بعلم النفس وظائفهم، وقد حدث ذلك بفعل غزو اليوغا وتمارين الريكي. لم يكن الحصول على وظيفة في علم النفس أمراً مضموناً عندما بدأت دانيلا دراسة علم النفس في جامعة تشيلي. لكنها حصلت بعد أن أنهت درجتها الجامعية على وظيفة استشارية في أحد برامج الإذاعة، وذلك بعد أشهر من البطالة.
يبدأ القسم المخصص لدانيلا من التاسعة حتى الحادية عشرة صباحاً، ويتألف برنامجها، كأي برنامج آخر في الراديو الحكومي، من فقرات للاستماع للمواطنين. ومن الطبيعي أن تستحم دانيلا، وتتناول طعام إفطارها قبل العرض، لكنها هذه المرة لم تهتم بأي من ذلك. قبل دقيقتين من بداية البرنامج، تضع دانيلا بإحكام بعض اللوحات الصوتية على الأبواب والنوافذ في الغرفة. تعود إلى السرير، وتضغط على زر أحمر، وبعد بعض التدريبات الصوتية تتمكن من أن تجعل صوتها يبدو مقنعاً.
تحافظ دانيلا في صوتها على قدر من النضارة المخادعة. إنه الصوت الأجش لفتاة صغيرة، إنه الصوت الدافئ لامرأة عمرها خمسون. لم يعرف مستمعوها عمرها، فهي نادراً ما تتحدث عن نفسها. إنها تبدأ بالحديث عن أي شيء، حتى تتلقى المكالمة الهاتفية الأولى، لكنها تختار مواضيعها بعناية، فهي لا تود أن تبدو هناك ثغرات في ما تقول. تبدو مثل أمها في هذا المجال: لا تبالغ في الثقة، وتميل إلى التعميمات، والتعليقات الحصيفة والمسلية، أو إلى ذكر توافه الأمور، أو الآراء المقنعة التي لا تكشف مع ذلك إلا عن أقل القليل عن نفسها. الكثير من زملائها يعملون على تضخيم ذواتهم بلا خجل أمام مستمعيهم لكنها لا تفعل ذلك، وذلك ما يجعل الاستماع لعرضها أمراً ممتعاً.
متى التقت إرنستو؟ في الكلية، ولعله كان زميل دراستها، أو تلميذها، أو أستاذها؟ لعله كان يلقي محاضرة في أحد المؤتمرات، أو لعله كان أكاديمياً يلقي خطاباً ورآها تجلس في الصف الأول، أو الأخير؟ من هو إرنستو؟ كيف يبدو؟ لا يهم ذلك؛ ما يهم أنهما يعيشان معاً في شقة دانيلا، رغم أنها اليوم وحيدة، فلقد ذهبت إلى المطار أمس لوداعه. كان ذاهباً إلى كيتو حيث يعمل في أحد المشروعات المتصلة بالسياحة الإيكولوجية.
لا تحب دانيلا سفر إرنستو المتكرر، ولذا تشعر بقدر من التحير وهي تنصت إلى المتصلين، إنها حيرة متكررة، فأمامها يوم جديد بلا إرنستو، وتلك مدة أضحت تعرفها تمام المعرفة. إنها مدة من الوحدة والحيرة. تتسارع وتيرة صوت دانيلا، وتقطع جملها على نحو حاد، ومع ذلك ما زال صوتها يتسم بالدفء. إنها أبداً لا تفقد إدراكها أن هناك مجموعة صغيرة وآسرة من الناس الذين يودون الاستماع لها كل يوم.
لا تنكر أنها أضحت تستمتع بالوحدة أكثر فأكثر، فالأسابيع مع إرنستو أضحت صعبة وحادة. لا يتصل الأمر هنا بالعنف، ولا بالضجر، بل إن في ذلك نوع من فقاعة ما ألقاها أحد ما على المشهد الذي يقف فيه كل من إرنستو ودانيلا في مواجهة المستقبل. إنها تدرك أنه في وقت قريب للغاية لن يعود إرنستو. تتخيل نفسها مفككة الأوصال، ثم غاضبة، وفي النهاية، تغزوها سكينة بالغة. إن كل شيء على ما يرام، وليس هناك التزام بشيء. إن المرء يحب التوقف عن الحب، كما أن المرء

يتوقف عن الحب ليبدأ حب أناس آخرين، أو لينتهي به الأمر وحيداً، لوقت ما، أو للأبد. ذلك هو القانون. القانون الوحيد.
اعتاد خوليان، وهو زوج أم دانيلا، أن يخبرها عند الجسر، عندما كان يأخذها إلى هناك وهي طفلة صغيرة: "ركزي انتباهك على التيار: إن الجسر يمضي إلى الأمام، ونحن نتحرك إلى الأمام. المياه الراكدة تصل إلى منتهاها. قد يبدو الأمر صعباً في البداية، لكنك تعتادين ذلك بمرور الوقت. إن ذلك أشبه بالرسومات الغريبة التي تنظرين إليها، حتى يظهر شيء ما، تنين، أو دب، أو وجه شخص ما. حدقي من جديد، وركزي نظرك، أغلقي عينيك على الماء حتى تشعري بنفسك تمضين إلى الأمام، حتى لا يضحى النهر نهراً. حتى تفقد المياه زخمها. إنها أنت الآن التي تمضين إلى الأمام في المياه، في الزورق".
يستند خوليان إلى الدعامة الحديدية للجسر المطل على نهر مابوتشو. لم تتحدث دانيلا قط عن تلك الذكريات، وإن كانت قد استحضرتها مرات عدة. كان الأمر في البداية يمثل لها نوعاً من الخيانة، أو الأذى إن صح القول. فعندما كانت في الخامسة عشرة، ذات مساء، عندما كانت تمشي بصحبة والدها، والدها الحقيقي، لم تتمكن من مقاومة تلك الرغبة التي دفعتها لتأخذه إلى الجسر، رغم أنه كان عليهما أن يمشيا مدة طويلة حتى يصلا إلى هناك. تصرفت دانيلا على نحو غامض، وجذبته من يده، وعندما وصلا إلى الجسر، كررت على مسامعه كلمات خوليان، بنوع من الرزانة المحسوبة، كما لو كانت تلك الكلمات كلماتها. كانت على وشك أن تخبره بجولاتها مع زوج أمها، وعن تلك الأيام الخوالي عندما كانا يعبران المدينة ليتوقفا قليلاً ويحدقا في التيار، ولكنها لم تفعل ذلك. قالت له بدلاً عن ذلك: "ذلك أفضل مكان بالنسبة إلي، يا أبي". ولم تكن تكذب، ثم أردفت: "من هنا يمكنك أن توقف مجرى النهر، يمكنك أن تحول الجسر إلى قارب يمضي مبتعداً أو مقترباً من الأرض الراسخة".
قررت دانيلا، منذ ذلك الحوار، أن يصير الجسر نكتتها الخاصة، أو كلمة السر الخاصة بها. لقد أخذت كل صديق من أصدقائها إلى الجسر المطل على نهر مابوتشو، وقد أقنعت كل واحد منهم أنه أول من يشهد ذلك الاحتفال الخاص. تذكرت هذا الصباح آخر مرة استخدمت هذه الصورة

مع إرنستو، وشعرت برغبة في الذهاب إلى الجسر بمفردها، لتلقي شيئاً ما من على الدعامة الحديدية إلى التيار، لعلها صورة أو قبعة، أو أي شيء. إنها تفكر في المتعة الخاصة التي تصاحب التحديق في شيء ما وهو ينجرف مع التيار، أو لعلها تفكر فضلاً عن ذلك في أسطورة إغلاق الدائرة، رغم أنها لا تؤمن بتلك الخرافة. إنها تؤمن بدلاً من ذلك بفكرة مؤداها أن الدوائر التي نراها ليست على الإطلاق دوائر حقيقية.
عندما ذهبت في ذلك الوقت مع إرنستو إلى الجسر كان الأمر مختلفاً. كان إرنستو متردداً منذ البداية، ولذلك تصرف بنوع من قلة الثقة تجاه اعترافها. الواقع أنه لم يكن شكاكاً بطبعه، بل شعر أنه جزء من نكتة، أو البطل الصامت في فيلم سينمائي. شعر بأن نبرتها الواثقة تهيمن عليه. كسر الصمت بغتة معلقاً على الجسر، وعن تاريخ بنائه، كما ذكر مجموعة من المباني التي تم تشييدها في الحقبة نفسها. كانت تلك طبيعة إرنستو، ذلك الشاب المتحذلق الذي كان يعرف القليل عن كل شيء. لكن تلك الفورة من الواقعية لم تكن سيئة لدانيلا.

تقول دانيلا بصوت مرتفع: "لم يؤلف والدي كتاباً قط". لقد اكتشفتْ تلك الفكرة الواضحة الجلية: إن أباها ليس كاتباً. كما أن زوج أمها لم يكن كاتباً بالمعنى الدقيق للكلمة. لم يكن كاتباً حقيقياً، لكن يتعين عليها الآن أن تضخم أفكارها، وتبالغ فيها، لو قليلاً.
"ماذا يفعل والدك؟"
"إنه مهندس".
"ماذا تفعل أمك؟"
"إنها رسامة".
لم يسألها الناس عادة عن مهنة زوج أمها رغم أن كل من كانوا في مثل عمرها تقريباً كان لهم زوج أم، أو زوجة أب، مع أنهم لا يطلقون عليهم تلك الألقاب التي تحط من قدرهم. لعل ذلك يرجع إلى أنه عبر السنين تراكم لدى هؤلاء العديد من أزواج الأم أو زوجات الأب؛ إنها شبكة طويلة من الناس الذين نقع في حبهم، لكننا سرعان ما ننساهم، ذلك أنهم عادة ما يختفون من حياتنا ولا نراهم بعد ذلك أبداً، أو لأنهم يعاودون الظهور بعد سنوات طوال، بالمصادفة في أحد طوابير السوبر ماركت.
لم تكن تلك حالة دانيلا، فليس لها سوى زوج أم واحد، وهي تفكر فيه الآن، وينبغي لها أن تشعر بأنها محظوظة لذلك. إن وجود زوج أم واحد إحدى علامات الاستقرار. لا يهم هنا طرحُ أسئلة عن مهنة زوج الأم، ولما كان مثل هذا السؤال لم يطرح من قبل، لم تفكر هي في إجابة عنه: إنه كاتب أو أستاذ جامعي. إنه أستاذ من الإثنين إلى السبت. أما في الأحد، فهو كاتب.
ماذا لو كان أبوها قد كتب مذكراته؟ ماذا لو سعت هي، التي لم تنخرط يوماً في الكتابة، إلى إنقاذ قصة أبيها؟ لماذا يتعين إنقاذ القصص، كأن تلك القصص لا يمكنها أن توجد من تلقاء نفسها؟ من أفضل شخصية: أبوها، أم أمها، أم زوج أمها؟ لقد دهمتها الوحدة. لقد طغت عليها لعبة لعله ينبغي أن يطلق عليها لقب لعبة "المهندس والرسامة" أو "الرسامة والمهندس". لعل ذلك يمكنه أن يروي لنا أجمل رواية: إنها قصة مهندس يقع في حب رسامة، أو رسامة تقع في حب كاتب؟
بعد انتهاء عرضها تفكر دانيلا في أمها التي لا تزال على قيد الحياة، أو لعلها قد ماتت، ليس الأمر واضحاً.
لعلها لم تعد ذلك اليوم، ذلك ما أخبرها به خوليان: "إنها لن تعود" أو "لقد ماتت" أو "لقد حدث شيء سيئ للغاية، إنه شيء بالغ الحزن". تفكر دانيلا الآن في أمها، ثم تفكر في أبيها. إنها تود أن تراهما. لقد اختارت على نحو جيد، اختارت أن تزور والدها.
ورغم أن فرناندو لم يظهر على نحو منتظم في حياة دانيلا، فإنه ظهر في غالبية رسوماتها عندما كانت طفلة صغيرة. أحياناً لم تستطع أن تتجنّب مقاومة رسمه على نحو كاريكاتيري ولا سيما أذنيه، لكنها كانت تميل على نحو عام إلى تصويره على نحو حسن، أو حتى مثالي. هناك تلك اللوحة التي رسمتها دانيلا عندما كان عمرها ستة أعوام: إنها تقف إلى جوار والدها، في الثلج، وهو يمارس رياضة التزلج. عندما كانت في ذلك العمر، لم يحدث قط أن زارت الجبال، لكنها شاهدت تقريراً تلفزيونياً عن الثلج، لقد لونته بالأصفر، كما أن أدوات التزلج بدت في اللوحة كأنها شوكة لتناول الطعام، وبخلاف الأيام المئة التي كان فيها والداها متزوجين، لم يحدث قط أن عاشت دانيلا مع فرناندو. بعد ذلك انتقل فرناندو إلى منازل أكبر وأكبر مكوناً ومفككاً أسراً مع فتيات أصغر وأصغر في العمر. عاش فرناندو عشر سنوات في ذلك الجزء من المدينة الذي يضم

ناطحات سحاب سابقة. كانت تلك المباني ذات يوم ناطحات سحاب حقيقية، لكن سرعان ما بُنيت ناطحات سحاب أعلى من تلك القديمة بكثير.
بعد أن حصل فرناندو على درجة جامعية في الهندسة الإنشائية، صار مديراً لشركة تدعى "عيد ميلاد سعيد". تخصصت الشركة في تنظيم حفلات أعياد الميلاد من مختلف الأنواع. لكن الشركة لم تدم سوى ستة أشهر. قال فرنادنو مازحاً: "أقل بكثير مما توقعت، وأطول كثيراً من زواجي".
كان فرناندو يجيد فن السخرية من الذات أو على حد قوله: "أنا خبير في النكت الموجهة إلى نفسي". من الخطأ أن نطلق عليه لقب كوميدي، ذلك أنه لم يكن مضحكاً، بل كان جاداً. لكنه احتفظ بمخزون دفاعي من روح الدعابة. وبعد إخفاق شركته تحسن حظه إلى حد كبير، فقد افتتح ملهى ليلياً في المنطقة المحرمة من المدينة لمجرد الفكاهة. أما باقي الأعمال التي كانت تدر عليه مالاً وفيراً، فكانت تدير نفسها بنفسها.

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يحس فيها فرناندو بما يحس به الآن عندما وصلت دانيلا إلى المنزل. إنه نوع من الشعور بالسعادة المشوب بالإحساس بالكمال الذي يكاد يكون مطلقاً، وإن كان ذلك الشعور يميط اللثام عن حالة من العجز، وتلك نقطة ضعف تفسد الصورة. لربما ود أن يكون بإمكانه أن يتنبأ بزيارة دانيلا، أو أن يعرف أنها سوف تأتي دون أن تتصل به مسبقاً، مدفوعة برغبة سرية، أو بمحض رغبة في الكلام، وذلك ليكتمل مشهد الأب والابنة التي تتناول الباستا مع صلصة الطماطم، وتحتسي القهوة، على حين يتحدث الاثنان عن الطقس أو عن طريق جديد تشيّده الدولة شمالي البلاد.
كيف يمكن لذلك الخجل أن يطغي على تلك التفاهات التي يتحدثان فيها، ما الذي يحدث عندما يتحدثان، كيف يمكن تصوير ذلك؟ كيف يمكن أن تضاء تلك الأماكن التي قرر الاثنان أن يتركاها في الظلام؟ بعد وقت عسير توصلا إلى ميثاق عدم اتفاق، مؤكدين ذلك التواطؤ غير المباشر والقائل إن ما يربط بين الأحياء هو محض شعرة. الآن يتحدثان، نعم بالطبع، يتحدثان، وهما لا يتحدثان بأسلوب السؤال والإجابة. إن ما يحدث ليس استجواباً؛ لعله حوار. يبدو ما يحدث جيداً على السطح. إنهما يحبان ممارسة رياضةِ قضاء الوقت معاً.
يتحدثان عن إرنستو الذي لم يلتقه فرناندو سوى مرتين أو ثلاث. وحتى يرضي ابنته، يقول إنه راضٍ عن علاقتها به. كما أن دانيلا التي تدرك أن علاقتها بإرنستو ستنتهي في غضون بضعة أسابيع، تشعر بتقدير بالغ لما قاله والدها. الحق أنها تعود في الزمن إلى عامين مضيا، حين كانت تشعر بالافتنان به، كما أنها تضع كلمات والدها في المكان الذي يليق بها.
إنهما يتحدثان كذلك عن ريتالي، وهو ملهى فرناندو الليلي. ومرة أخرى يقع فرناندو في الخطأ الذي طالما وقع فيه طوال حياته: ينسى أنه أب. يتزايد تحمسه كما لو كان طائرة تحلق، كما يخبر ابنته بعدد من التفاصيل مقارنة بما كان يتعين عليه أن يفعل. يعتقد فرناندو أن دانيلا ستستمتع بقصته عن علاقته بإحدى راقصات الملهى الليلي.
تقول دانيلا بعد صمت طويل: "لو ألفت كتاباً، ما كان عليك أن تخبرني بالقصة التي قصصتها عليّ الآن". ثم تبتسم بقسوة راضية عن كلماتها. إنها السعادة التي نتجت عن إحساسها بأن ما قالته قد تجاوز الحرج الذي شعرت به من القصة التي حكاها لها. إنما تتخيلُ أباها وهو يحدق في امرأة تعيسة تتعرى من تنورة حمراء لامعة. تشعر بحزن ممزوج بالتعاطف. لكنها بعد ذلك تتخيل أن

ذلك هو الكتاب الذي كان يتعين أن يؤلفه والدها: كتاب عن القصص التي يفضل ألا يحكيها لأحد، ألا يذيعها على الملأ بل أن يحملها معه إلى القبر. كتاب من الاعترافات لا يبوح فيه الأب بأي شيء لأي شخص، وهو كتاب لا يراه أي شخص قيماً. المهم هنا أن يدخر الأب الأنفاس التي كان سوف يستخدمها لرواية تلك الحكايات.

"ألم تفكر أبداً في أن تؤلف كتاباً؟"

"لا، لماذا؟"

"ليس هناك سبب محدد. من الحماقة أن يؤلف الناس كتباً، فمن الأفضل أن يتحدثوا... أنا آسفة".

"آسفة على ماذا؟"

"آسفة عما ذكرت عن الكتاب الذي ينبغي أن تؤلفه".

لم يفهم، وهي تعرف أنه لم يفهم، والأفضل أن يظل الأمر على ذلك النحو.

لا تهتم دانيلا كثيراً بالأدب، إنها تقرأ كثيراً، لكنها لا تقرأ سوى كتب التاريخ، أو السير الذاتية، أو المقالات. الواقع أنها لا تطيق قراءة الأدب، فهي تشعر بصبر نافد تجاه مهازل الروائيين العبثية: لنفترض أنني لست أنا، لنفترض أنني صوت ما، وجه أبيض بين وجوه أقل بياضاً، يميل إلى أن يكون داكناً، وجوه داكنة تمر.

لكن بعد ذلك الغداء الذي تناولته مع والدها، قررت دانيلا أن تقرأ رواية خوليان. من السهل العثور على الكتاب. إنه على الرف نفسه كالعادة، وفي الترتيب الهجائي المعهود. لقد افتقدت دانيلا لسنوات الفضول، أو ربما الشجاعة، كي تقرأ الرواية. والآن عندما تفتح الكتاب، تجد هذه الرسالة داخل الغلاف: "إلى دانيلا، مع حبي، راجياً ألا يكون الكتاب مملاً لك".

تتعرف دانيلا على خط زوج أمها، إنه الاهتمام المعهود بكتابة الحروف، كما لو كان يكدح ليضع أثراً منه على الورق. تفكر في أن ذلك "خط أحد المدخنين"، رغم أنه لا يوجد في الواقع ما يمكننا أن نطلق عليه ذلك التعبير. كانت دانيلا على أهبة الاستعداد لكي تنجرف أمام الوحدة، وقد شعرت كذلك بالدهشة لقدرتها على التعرف، بكل هذه الدقة، إلى خط يد خوليان. لم يحدث أبداً أن رأته يكتب بخط اليد، لكنها تتذكر فقط أنه كان يدخن أمام جهاز الحاسوب، وهو يكتب بسرعة تثير الحسد، ليمحو ما كتب بعد خمس ثوانٍ بالسرعة نفسها التي كان يكتب بها.

إن عليها أن تذهب إلى المتنزة أو المطار، لتبحث عن شخص ما، أو لتنتظر قدوم شخص ما. لكنها تختار أن تظل في البيت لتستحضر ذكرياتها. تتصرف كأنه طُلب إليها البقاء في البيت. تقرأ كما لو كانت القراءة فعلاً من أفعال الاستسلام، كما لو كان عليها أن تكتب ملخصاً لما تقرأ، كما لو كان الأمر يتعلق بموضوع تعبير مدرسي، كما لو يتعلق باختبار مدته خمسٌ وأربعون دقيقة، وهو اختبار تجيب فيه عن سؤال واحد غير عادل: كيف تقرئين كتاب زوج أمك؟

كانت رواية خوليان قصيرة للغاية لدرجة أن نصف ساعة كانت تكفي لقراءتها. لكن دانيلا كانت تتوقف بعد قراءة كل صفحة ونصف لتعد قدحاً من قهوة، وللتحقق من أن القهوة

أصبحت جاهزة، ولتصبها في فنجان. بعد ذلك كانت تتوقف بعد كل مرة تحتسي فيها رشفة من قهوة، وبعد كل رشفة كانت تحدق في السقف، أو تشعل سيجارة، بل تتوقف لتضع اللوحات الصوتية على النوافذ. إنها ترنو إلى الصمت حتى يمكنها أن تسمع صوت رشفاتها وهي تحتسي

القهوة أو تسحب سيجارة من علبة السجائر. إنها تحتاج إلى الصمت لتشاهد الدخان وهو يتطاير مع شعاع الضوء القادم من النافذة.
لا تشعر بالضجر، أو لا تشعر به تماماً. تأمل أن تعثر في الكتاب على عناصر من ذاتها، على قبس من الماضي البعيد، على زمن عاشته بكل تأكيد، وإن كان من العسير عليها أن تتذكره. ليس لديها ذكريات طفولة. لم يكن في مقدورها أن تحكي قصة حياتها: محض شذرات تبقى وتعبر ذاكرتها ذهاباً وإياباً. إنها بقايا، أو آثار. إنها محض قطع تحتاج إلى جهد شاق لتتحول إلى تاريخ، إلى حياة.
لكنها تبحث وتبحث بين الفقرات لأيام وأسابيع وشهور لعلها جاءت ذات يوم بغتة، على حين كان خوليان يكتب، ولعل مقاطعتها له تركت، في الكتاب، أثراً لجملة، أو حتى لكلمة. لذا تحدد بعض شذرات، لا تلك الشذرات التي تحبها كثيراً، بل تلك العبارت التي ربما قالتها واستولى عليها خوليان، واقتبسها عنها. تشعر بالسعادة، وتدع نفسها تنجرف أمام وهم يساورها، وهم يخبرها بأن لغتها هي نفسها تحيا داخل الكتاب.
إنها قصة حب عادية: شخصان يشكّلان، على نحو جيد ومتعمد وساذج عالماً موازياً ينهار سريعاً على نحو طبيعي. إنها قصة حب فتيٍّ ومتواضع، تدرك فيه الفتاة الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها: الشقق الصغيرة، وأنصاف الحقائق، وكلمات الحب الآلية، والجبن والتعصب، والأوهام التي تضيع ليعثر عليها من جديد... التبدل المفاجئ للقدر لأولئك الذي يصعدون أو يهبطون لكنهم لا يمضون ولا يبقون. إنها كلمات ضبابية، كلمات تنتظر قبساً من وحي لا يأتي أبداً.
ما من عوالم متوازية هناك، ذلك ما تعرفه دانيلا جيداً. لقد نجت من تلك العوالم المتواضعة منذ بضعة أعوام كان يحلو لها أن تقول فيها: "أنا مستعدة لأي شيء". وكان ذلك حقيقياً؛ لقد كانت مستعدة لأي شيء، أن تفعل أي شيء، لتحصل على أي شيء يقدمونه إليها، لتقول ما تود أن تقول. لقد كانت مستعدة حتى لتنصت إلى صوتها يقول أشياء لا تود أن تبوح بها. لكن ذلك انتهى الآن. الآن هي ليست مستعدة لأي شيء. الآن هي حرة.
تنتهي دانيلا من القراءة، وتعود فوراً إلى الفقرات التي وضعت عليها علامات. تبحث عن لغتها، تبحث عن ذاتها، لكنها لا تعثر على أي شيء. إنها ليست في الكتاب. لقد ضلت طريقها. لكن ذلك الغياب يزعجها. تشعر بمزيج من الارتياح والإحباط، وتغلق الكتاب. لم تتغير حياتها. لعلها سوف تعيد قراءة الكتاب غداً لتتأكد من انطباعاتها، لكنها لن تذهب إلى الجسر. لن تتذكر أي قصة تعطي بعض المعنى للحاضر أو للماضي أو للمستقبل. إنها لا تود أن تغش، فحياتها لم تتغير: إنها لا تعرف شيئاً أكثر أو شيئاً أقل. إنها لا تشعر بشيء أكثر أو بشيء أقل.
هل من السهل أن يقرأ المرء كتاب زوج الأم مقارنة بكتاب الأب؟ إن عليها أن تفكر في الحدائق، وفي النساء اللاتي يتحدثن إلى لا أحد، ويغيّرن إطارات السيارات على الطريق السريع. إن عليها أن تفكر في الجمال الهش للأشجار العليلة. إن عليها أن تفكر في متنزه يعج بأجنحة الطيور الهاوية. إن عليها أن تتأمل في وحدة رجل حكم عليه أن يكون حبيس الجدران الأربعة في غرفة رطبة، رجل رفض أن يردد الكلمات التي قيلت له.
لعل خوليان كان سيود لو تتذكر قصصه عن الأشجار، أو تلك الساعات الطويلة التي قضياها يحفظان جداول الضرب، تلك النبرة التربوية التي كان يستخدمها خوليان بين فينة وأخرى. كان

خوليان سيود أن تتذكره دانيلا وهي تقرأ كتابه. لكن لا، فالذاكرة ليست محض ملاذ، فما يتبقى هو فقاعات تحمل أسماء شوارع لم يعدلها وجود.

يرخي الليل سدوله.

تزيل دانيلا الألواح الصوتية لأنها تود أن تستمع لوقع أقدامها، لنباح الكلاب، لأبواق السيارات، لأجراس الإنذار، لحوارات الجيران عندما تخلد إلى النوم. إنها تفكر في نفسها عندما كانت طفلة صغيرة تتظاهر بالنوم، على حين ينهمك خوليان في القراءة وتنهمك أمها في الرسم. ورويداً رويداً يغلبها النوم.

الأن تخلد إلى النوم، وتنعس.

٢
شتاء

"الحياة تشبه كتاباً وُضع جانباً"
جون آشبري

تقول دانيلا: "إن مدرس التربية البدنية نازيّ".

يمشيان بحذر، متجنبين برك المياه، ومتقاسمين مظلة المطر الوحيدة الموجودة في المنزل. لعله كان من الأفضل لو استقلا سيارة تاكسي هذه المرة، لكن خوليان يختار أن يمشيا عبر سبعة شوارع. كالعادة يقترح، كلعبة ذهنية، أن يمشيا في صمت ويعدا خطواتهما: "عندما نصل إلى المدرسة تخبرينني كم خطوة حسبت، وأخبرك كم خطوت حسبت، وعندئذ نعرف هل مشينا العدد نفسه من الخطوات".

لكن دانيلا لا تود أن تحصي خطواتها. إنها تود الحديث عن مدرس التربية البدنية الذي تراه نازياً. أما خوليان، الذي يكره كل مدرّسي التربية البدنية، بل كل الرياضيين، فيجد نفسه مضطراً إلى الدفاع عنه. يجد نفسه مضطراً إلى رسم صورة غير مفهومة عن الحربين العالمية الثانية والأولى، والثورة الروسية. يقول بوضوح إن مدرس التربية البدنية ليس نازياً، على حين يتجنب الاثنان بصعوبة بالغة دفقة من ماء تثيرها سيارة عابرة. يقول خوليان: "إن المدرس رجل طيب، لعله يركز على عضلات البطن، لكن ذلك هو عمله".

"هل وددت أبداً أن تكون مدرس تربية بدنية؟"

"لا".

"هل وددت يوماً ما أن تنضم إلى جماعة السلام الأخضر؟"

"لا".

"هل وددت يوماً ما أن تصبح قبطان طائرة؟"

"لا".

"هل وددت يوماً ما أن تكون أي شيء آخر؟"

"حسناً، دانيلا، المرء دائماً يتمنى أن يكون شيئاً آخر". تلك كانت إجابته، كان سوف يقول دانيليتا، أو داني، لكنه بدلاً من ذلك قال دانيلا، ثم واصل: "ما من أحد سعيد بحاله. من الغرابة أن يكون المرء في حالة سعادة تامة. عندما كنت صغيراً وددت أن أكون طبيباً، تماماً كما يفكر الأطفال عادة. كل الأطفال يودون أن يصبحوا أطباء".

"أنا لا. أنا لا أود أن أصبح طبيبة، وما من أصدقائي من يود أن يصبح طبيباً. نعم إن لديهم، الأطباء، الكثير من النقود، لكن عملهم ممل للغاية".

الواقع أن خوليان لم يود مُطلقاً أن يُصبح طبيباً. لقد كذب لأنه كان على عجلة من أمره، لمجرد أن يتجنب السؤال. يمشي إلى جانب دانيلا ليحميها من المطر، محاولاً لعب دور الأب الصالح، أو الأخ الأكبر، أو أي شيء من هذا القبيل. لم يود مطلقاً أن يصبح طبيباً أو مدرساً للتربية البدنية، ولم يود حتى أن يصبح أستاذاً للأدب؛ لقد أراد أن يصبح كاتباً، لكن أن يصبح المرء كاتباً لا يعني على وجه التحديد أن يصبح شخصاً ما.

ينهمر المطر زخات زخات. عبر سبع نواصٍ، وفي يوم ماطر، يمكن أن يدور عدد من الحوارات. على مدار مئات الآلاف من الخطوات، تأتي الكلمات وتروح على نحو سريع وضبابي. إنها السابعة وخمسون دقيقة صباحاً. قرر قبل أقل من ساعة مضت أن المستقبل ينبغي أن يبدأ. إنه يفكر: "إن هذا هو اليوم المقبل". يعدّ القهوة، ويغسل وجهه على نحو غير عادي، فينظف وجهه جيئة وذهاباً، على نحو متكرر، كما لو كان يودّ أن يؤذي نفسه أو يمحو نفسه. بعد ذلك يقضي دقائق ليستحضر بقايا ليلة عادية، ويلُقي البطانيات والشراشف، كما لو كان قد نام في السرير، ثم يعود إلى المطبخ، ويصب قدحي قهوة، ويحتسي فنجاناً ونصف، ويمضغ خبزاً محمصاً، ويضع كوباً من الحليب بالشوكولاته للبنت الصغيرة.
بعد ذلك يفكر في الإصغاء إلى الموسيقا. يبحث عن أسطوانة لم يستمع لها منذ سنوات. لا يستطيع العثور عليها. يشغل المذياع حيث تُذاع مقابلة مع المرشح اليميني للرئاسة، الذي يبدو أنه لا يختلف كثيراً عن المرشح اليساري. يقول المرشح: "الناس ليسوا أغبياء، وهم يعرفون أنني أقف إلى جوارهم". يعِدُ المرشح بأنه سوف يبدأ من الصفر ليصل إلى مليون ناخب، ثم مليونين، فمليار. يختار المرشح كلماته بعناية فائقة. ينهي المذيع اللقاء معلناً أن المطر سوف يستمر الليل بطوله. يقول: "أنباء جيدة، فالمطر سوف يعمل على تنقية الهواء حول سانتياغو".
كما لو كان يود أن ينضمّ إلى الجميع، يمضي خوليان نحو النافذة ويتحقق من بدء هطول المطر، ويتحقق من أنه بعد وقت سوف تبدو الجبال واضحة للعيان في الأفق. بعد ذلك يفتح ويغلق الباب الداخلي على نحو عنيف استمر صداه في أذنيه لعشر ثوانٍ. بعد ذلك يصيح: "وداعاً يا عزيزتي، أتمنى لك يوماً جميلاً".
يذهب إلى غرفة الفتاة الصغيرة ليوقظها، ويوضح لها أن أمها قد ذهبت إلى العمل حيث

لديها لقاء مبكر في بونتي آلتو، مضيفاً: "أنت تعرفين أن بونتي آلتو بعيدة للغاية". لكن الفتاة لا يبدو أنها تقتنع بما يقول. تطرح أسئلة، وتود تفاصيل، ويجيب خوليان على نحو مطول. لقد فكر خوليان أثناء الليل في الأسئلة المتوقعة كافة التي قد تطرحها دانيلا. كان مستعداً على نحو جيد. قال لها: "لتشربي حليبك يا داني، ولتستحمي، ولترتدي ثيابك، فأنت قد تأخرت".
كالعادة تُمضي دانيلا وقتاً طويلاً حتى تعثر على معطفها الأزرق، ثم تذهب لتستحم على نحو بطيء للغاية، وهو ما كان يستفز فيرونيكا، لكنه الآن يستفز خوليان على نحو فظيع. كان التأخر تقليداً يومياً، يشبه صورة ثابتة وراسخة.
يمشيان كالتائهين عبر المطر. يلي ذلك خط مستقيم يمكن عبره رؤية المدرسة عند ركن منزل تنبح عنده أربعة كلاب على نحو غاضب لا يتوقف. أربعة كلاب مبتلة وغاضبة تحييها دانيلا بوجهها الأبيض وبأنفاسها الباردة التي تتسرب من بين شفتيها.
قبل أن يصلا إلى باب المدرسة اقتربت منهما معلمة الإنكليزية قائلة: "أود التحدث معك، يا سيدي، فالأمر عاجل". قالت ذلك بنوع من الدفء الزائف، كما لو كان إجراءُ حوار في منتصف الطريق، وتحت المطر المنهمر، يبدو طبيعياً. بدأت المدرّسة الحديث قبل أن تحصل على موافقة خوليان، مشيرة إلى سلوك دانيلا غير المستقر في فصول الإنكليزية: "إن لم يتحسن أداؤها، فقد ترسب في المقرر". ينظر إليها خوليان بنوع من الكراهية الممزوجة بالخجل.

يرد خوليان بعد دقيقة صمت طويلة: "إن ذلك تقليد عائلي، فنحن لا نحب الإنكليزية، إننا مناهضون للإمبريالية، إننا يساريون". عندما يقول ذلك ترتسم ابتسامة تضامن على وجه دانيلا. لكن المدرسة تصمم على رأيها قائلة: "أود التحدث معك ومع زوجتك في أقرب وقت".

بعد ذلك تتحدث عن الالتزام والتصميم والمثابرة، ثم تضيف: "سوف أنتظركما الأربعاء في الرابعة عصراً في غرفة المعلمين". يوافق خوليان على نحو آليّ، ثم بصوت مرتفع، كما لو كان يبحث عن مكان في ذاكرته يشير إلى الأزمنة والتواريخ والأماكن، "الأربعاء المقبل الرابعة عصراً في غرفة المعلمين". بغتة تغيب المدرسة وسط حشد من الأطفال والآباء، ومظلات المطر.

يضغط خوليان على يد دانيلا بحب ويقول لها: "سوف يتعين علينا أن ندرس الإنكليزية". ترد عليه دانيلا: "نعم، يا خوليان، لكن الآن ينبغي أن أذهب إلى الفصل". ينظر إليها خوليان ويطبع قبلة على خدها ويدعها تمضي.

سانتياغو، تشيلي ١١ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦

كلمة المترجم

بدأ أليخاندرو سامبرا حياته الأدبية شاعراً في نهاية التسعينيات من القرن الماضي، ثم اتجه إلى الكتابة الصحافية والروائية، فضلاً عن العمل الأكاديمي، إذ تولى التدريس في إحدى جامعات العاصمة سانتياغو دي تشيلي. تُرجمت أعمال سامبرا إلى أكثر من عشر لغات، كما ظهرت في طبعات عدة في تشيلي والأرجنتين وبيرو وكولومبيا والمكسيك وألمانيا. حصل على جائزة النقاد في تشيلي عام ٢٠٠٧، كما حصل على "جائزة ألتاسور" عام ٢٠١٢، فضلاً عن "جائزة المجلس القومي للكتاب لأفضل عمل روائي" عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٢. كذلك حصل على جائزة PEN عن الترجمة الإنكليزية لروايته Formas de volver a casa [أشكال العودة إلى المنزل]. وفي هولندا، حصل على جائزة الأمير كلاوس عن مجمل أعماله. يصنّف الناقد الأدبي ويلفريدو كورال أعمال سامبرا على أنها تنتمي إلى أجناس أدبية مختلطة، حيث يمزج بين الرواية بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، وبين أفكار ما بعد المعاصرة.

في الرواية التي بين أيدينا، يعود سامبرا إلى نقطة التقاطع بين الفن والحياة، حيث يقص خوليان على الفتاة الصغيرة قصة الحياة السريّة للأشجار، وهي قصة اختلقها ليهدئ روعها كي تخلد إلى النوم، على حين ينتظر عودة زوجته من فصل الرسم الذي تحضره. لكن بدلاً من أن تخفف الكلمات من عذاب خوليان، فإنها تفاقم ألمه. هكذا، عندما تخلد دانيلا إلى النوم، يقص خوليان على نفسه حكايته، مازجاً بين الذكريات، وبين قصص العشاق. يتخيل خوليان أن الأسوأ سوف يقع لزوجته: "إنها الرابعة فجراً. يبدأ خوليان في التفكير في احتمالٍ كان قد رفض التسليم به من قبل: إن فيرونيكا ليست في أحد الشوارع البعيدة، لكنها في بيت رجل ما يقنعها هذه المرة ألا تذهب إلى المنزل". هكذا، يتأرجح خوليان بين الألم والأمل: "يفكر خوليان: لو خرجنا من هذا الموقف، سندخر بعض النقود، ونمضي في رحلة إلى فالديفيا أو بويرتو مونت، أو لعله من الأفضل ألا نبالغ في الأمل: إن خرجنا من هذا الموقف، فإننا سنذهب أخيراً يوم السبت لنرى الثلج". وعلى حين يمتلك الراوي في Bonsái [صدرت الطبعة العربية عن دار الساقي بعنوان زهرة الحب] معرفةً تكاد تكون كاملة ببواطن الأمور، لا يمتلك خوليان مثل ذلك اليقين، إذ تكمن قسوة الزمن في المستقبل المجهول. في نهاية المطاف، تُفسح جسامة الموقف الطريق أمام الحلم، ويصير خوليان شخصية ثانوية في قصته الذاتية.

في الرواية عدد من الإحالات، ما يزيد التعقد الدلالي؛ أولاً تفتح الرواية باباً يمكن للقارئ أن يدلف منه إلى العالم الداخلي والنفسي للبطل الذي ينتظر عودة زوجته من فصل الرسم. هنا يتداخل تأخرها غير المعتاد مع الحياة العادية للأسرة التي يؤكد الراوي أنها كذلك: "كانت نهاية اليوم تسير دائماً على الوتيرة نفسها". ويواصل سرد طبيعة تلك الحياة الروتينية حتى يتقاطع ذلك السرد مع ذلك التحذير: "إذاً، سوف تتواصل الرواية حتى تعود، أو حتى يكون خوليان على يقين بأنها لن تعود". كما أن هناك إحالة في الاقتباس الذي نجده في صدر الرواية: "... مثل الحياة الخاصة بالأشجار أو الغرقى"، وهو بيت شعر لأندريس أنواندتر في قصيدة تُدعى "Nostalgia de cosas que no he vivido" [نوستالجيا الأشياء التي لم أعشها]:

مثل الحياة الخاصة بالأشجار

(أو الغرقى): أتشبث بتلك الكلمات
في محيط منبسط
في الموسيقا، في الزورق
أتصفح العيون، وأكتب
صورة عبثية تزداد حيرتها
مع النوستالجيا لأشياء لم أعشها
مثل الحياة الخاصة للأشجار
أو الغرقى.
(ديوان El árbol del lenguage en otoño [شجرة اللغة في الخريف])
هناك أيضاً تلك الإحالة التي نجدها في عنوان الفصل الأول من الرواية "الصوبة الزجاجية". هناك بالطبع إشارة إلى ذلك البيت الزجاجي الذي يجري فيه تعديل الحرارة والرطوبة وغيرها من العوامل البيئية بما يسمح بنمو النبات. ومن المعروف أن الصوبة الزجاجية تتسم بقدر من الحميمية المصطنعة، لأنها تعمل على توفير الظروف المناسبة للنبات كي يمكنه النمو طوال العام. لعل ذلك ينطبق على أحداث الفصل الأول في الرواية حيث تدور كلها داخل الشقة التي يعيش فيها خوليان وزوجته فيرونيكا وابنتها دانيلا. هناك، وفي الغرفة الزرقاء، تستمع دانيلا للقصص التي يسردها خوليان، على حين ينتظر عودة زوجته. تنام دانيلا على حين يمضي خوليان من غرفة إلى غرفة مستعيداً ذكرياته الذاتية. لكن لتحقيق وظيفة "الصوبة الزجاجية" يتعين أن تكون البيئة الداخلية في المنزل ملائمة، وذلك ما يعمل خوليان على توفيره، إذ ينجح في إخفاء خبر غياب الأم عن المنزل، وذلك عن طريق تشتيت انتباه دانيلا بتلك القصص التي يختلقها حتى تخلد إلى النوم. أخيراً نجد تلك النقلة الدرامية من الفصل الأول إلى الثاني الذي يحمل عنوان "شتاء"، حيث يضطر خوليان لمواجهة "اليوم التالي" ويقرر أن "المستقبل ينبغي أن يبدأ". ويُلاحظ أن الفصل الثاني كله، على عكس الأول، يدور خارج المنزل حيث يمشي

خوليان ودانيلا تحت المطر عبر سبعة شوارع تفصل البيت عن المدرسة، فيُقنع خوليان نفسه أخيراً أن فيرونيكا لن تعود!
في مقابلة مع أليخاندرو سامبرا، تطرح كارمن أوسيبيو هذا السؤال: "عند قراءة أعمالك نشعر بتماهٍ مع قصصك، ونتخيل أننا عشنا أحداث تلك القصص... هل تفكر في القارئ عندما تكتب؟" يجيب سامبرا: "أحياناً أفكر أكثر في نفسي كقارئ لا ككاتب. أنا أدرك أن هناك مكاناً مشتركاً بين الاثنين، لكن نبض الكتابة يُحتم عليَّ أن أقترب من النص كقارئ". وفي مقابلة مع نيكولاس فيثنتي أوجارتي، يذكر سامبرا أن في روايته الأولى Bonsái:
مسافة كبيرة بين الراوي وبين بطل الرواية، فالراوي ينظر إلى شخصيات الرواية من مسافة بعيدة، فيضحك أحياناً من تصرفاتهم، لكنه أيضاً يتعاطف معهم في أحيان أخرى. إن الراوي هنا يلعب دور القاضي. وأنا أحب أن أفكر في هذه المسافة كمفارقة، وهي أحياناً صريحة وتقترب من السخرية، لكنها في أحيان أخرى غير مرئية، وإن كانت دائماً موجودة. أما في La vida privada de losrboles [الحياة السرّية للأشجار]، فإن المسافة بين الراوي وبطل الرواية تكاد تتلاشى، فالراوي والبطل قريبان للغاية من بعضيهما، ويبدو أن الأشياء التي تحظى باهتمام

الراوي هي الأشياء نفسها التي تحظى باهتمام بطل الرواية. هكذا، يمكن النظر إلى الراوي على أنه شخصية ثالثة زائفة، أو شخصية أولى مستترة.
يرى الناقد ماسوليفر رودنز في صحيفة La Vanguardia أن "سامبرا لا يصنع أدباً شارحاً… لكنه ببساطة يعيد إنتاج التناص مع الحياة". في روايتنا هذه، يغيب السور الرابع بين القارئ والراوي، ذلك أن التناص هو الحياة لشخوص الرواية، بل للعديد من القراء. ويرى فيليبي أوليفر أن غالبية أعمال سامبرا تستكشف على نحو متعمّق الذاكرة التاريخية لتشيلي، ذلك أن مَيل سامبرا إلى التأمل السياسي يزداد من عمل إلى آخر. ورغم أننا لا نجد أي ذكر للدكتاتورية في الرواية التي بين أيدينا على نحو صريح، من الواضح أن تلك الفكرة تكمن خلف السرد الروائي برمته.

حول الكتاب

نبذة
لم تعد فيرونيكا.
ينتظرها جوليان، زوجها، بينما تنام ابنتها دانييلا.
كل ليلة يخترع جوليان قصة عن الحياة السريّة للأشجار يرويها لدانييلا قبل النوم. لكنّ هذه الليلة مختلفة.
متى ستعود فيرونيكا؟ سؤال يتردد في ذهن جوليان وهو يواصل العمل على روايته الأولى.
تتتابع الساعات وتتوالى الذكريات والأسئلة: ماذا لو لم تعد فيرونيكا أبداً؟ ماذا لو قرأت دانييلا روايته في سن العشرين، أو الثلاثين؟
قصة حب وشغف، قصة ليلة واحدة ورواية قد لا تكتمل.
قيل في الكتاب
*«رائد موجة جديدة في الأدب التشيلي» The Nation
عن المؤلف
أليخاندرو سامبرا روائي وشاعر وناقد أدبي، ولد في سانتياغو بتشيلي عام ١٩٧٥. اختير في مجلّة Grants واحداً من أفضل الروائيين الشباب الذين يكتبون بالإسبانية، ورُشّح لقائمة «بوغوتا ٣٩» لأفضل الكتاب الواعدين في أميركا اللاتينية. تُرجمت أعماله إلى أكثر من ٢٠ لغة.